فـرج خطّـاب

فـرج خطّـاب

روايــة

عصـــير الخيـــانـة

الكاتب يرحب بالتواصل على البريد الإلكتروني

faragkhatab@yahoo.com

الإهـداء

من ذكريات قلبي المبللة .. بالشهد والدموع

إليك

يا من كنتِ مصدر الشهد

ومجففة الدموع

إلى زوجتي

الحبيبة

المقدمة

أحلم أن تحل المحبة بين الناس .. محل القانون

وأن يرضى الإنسان بما أصابه

الفصل الأول

دفعت السيدة " أسماء " باب الحديقة الخشبي الصغير برفق .. ودلفت تخطو في رزانتها وهدوئها على الممر الرخامي الضيق .. الذي يفصل بين مساحات الأعشاب الخضراء .. التي أحاطت بحمام السباحة في منظر رائع بديع ..

و كانت الشمس تميل إلى الغروب .. وقد أرسلت أشعتها الذهبية الدافئة .. فانعكست على صفحة الماء .. تتلألأ مع زرقة السماء الصافية .. التي انعكست على سطح الماء في مشهد يخطف الأبصار ..

وكان البستاني قد غادر المكان .. بعد أن أخبره السيد " مجدي محمود المليجي " .. أنه قد باع الفيلا .. وسوف يأتي المالك الجديد غداً ..

وبينما كانت تتجه إلى باب الفيلا .. تركت عينيها تجوبان في رحلة تشبه الوداع .. لهذه الأشجار الجميلة التي إمتلأت بها الحديقة .. وأحواض الزهور التي إزدان بها المكان .. وفاح بعطرها ..

وتساءلت .. في أسى .. كيف إستطاع السيد "مجدي" .. وزوجته السيدة " وفاء ".. كيف استطاع أن يقرر بيع هذه الفيلا الرائعة .. ويغادرها .. بل ويغادر البلد إلى القاهرة .. لكي يستقر فيها .. وينقل إليها أنشطته التجارية كلها .. بعيداً عن " الفيوم ".. التي شهدت كل سنوات عمره ..

وكانت قد وصلت إلى الباب .. فضغطت الزر الكهربائي .. ووقفت

تنتظر..

ومرة أخرى .. أعطت ظهرها للباب .. وراحت تتأمل جمال الحديقة .. وكأنها تشبع عينيها منها .. فهي لن تراها بعد اليوم .. خاصة أنها لا تعرف شيئاً عن المالك الجديد .. وأسرته ..

كانت السيدة أسماء هي مديرة مدرسة الزهور الإبتدائية التي يشترك سورها مع سور الفيلا .. من الجانب الذي يطل على البحر .. في موقع فريد .. ربما كان هو السبب الذي جعل السيد مجدي يقرر شراء الفيلا فور أن رآها .. منذ عشر سنوات .. قائلا :

"كم هو رائع أن يسكن الإنسان في مكان يطل على البحر.."

ومنذ اليوم الأول .. وجدت السيدة أسماء .. أو الأستاذة .. كما إعتادوا جميعاً أن يطلقوا عليها .. وجدت نفسها ترتبط بعلاقة صداقة جميلة مع أسرة السيد مجدي .. وزوجته السيدة وفاء ..

وأفاقت على صوت يرحب بها .. فنظرت صوب الباب .. وإحتضنت السيدة وفاء التي أطلت عليها واستقبلتها مرحبة ..

– تفضلي يا أستاذة ..

– كيف حالك يا عزيزتي ..

ودخلت .. وأغلقت الباب خلفها ..

ولمحت بعض الحقائب .. فأردفت في حزن :

– هل حان وقت الرحيل ؟! ..

قالت وفاء .. وقد إختارت مكانها إلى جوار صديقتها .. التي جلست على أقرب كرسي ..

– تعلمين يا أستاذة أننا نحب هذا البلد .. ونحب هذه الفيلا .. بل نعشقها .. ولم نكن نفكر إطلاقاً في هجرها .. ومغادرتها .. لو لم يكن هذا الحادث المشئوم ..الذي فقدنا على أثره طفلنا البريء " أحمد " .. ذو الخمس سنوات .. وتشوه بسببه وجه طفلتنا المسكينة " ليلى " .. التي تحملت الألم الرهيب .. ولم تتعد الرابعة من عمرها ..

وراحت تمسح دمعة غلبتها .. وترقرقت في عينيها .. وأضافت في صوت يفيض ألماً :

- إن مجدي لا ينام منذ تلك الليلة .. وإذا نام يصحو مفزوعاً .. مزعوراً .. ويبكي حزناً على فقده إبنه .. لا أستطيع أن أقول لك كم يحبه .. وكم يتألم لفراقه ..

وراحت أسماء تجفف الدموع التي إنهمرت على خديها ..

وواصلت وفاء حديثها .. في نبرات متقطعة .. يغالبها الألم ..

- وهذا ما جعلنا نقرر تغيير المكان .. ربما نهدأ قليلا ..

– وماذا قال الدكتور المعالج لوجه ليلى .. ألم يطمئنكم على إمكانية الشفاء ؟ ..

– لقد أكد أنه سوف يتحسن مع مرور الوقت .. إلا أن بعض الآثار سوف تبقى ..

– يا للطفلة المسكينة .. لها الله ..

كانت ليلى قد ورثت عن أمها القوام الطويل الممشوق .. حتى مشيتها الرشيقة .. وبياض البشرة .. حتى أهداب رموشها الطويلة .. التي غطت عينيها الواسعتين السوداوين .. والأنف الدقيق .. والشفتين .. الرقيقتين .. وشعرها الأسود اللامع ..

لقد كانت طفلة رائعة حقاً .. قبل أن يصيب وجهها هذا التشوه البغيض .. لم تكن بالمدرسة طفلة تضاهي جمالها .. ورقتها .. إلا الطفلة " سمر" .. ومن الغريب أن كانت سمر تشبهها إلى حد بعيد .. في كل شيء .. باستثناء شعرها الذهبي .. وعينيها الزرقاوين ..

وكان البعض يخلط بين الطفلتين .. والبعض يعتقد أنهما توأمان .. وربما كان هذا التشابه الكبير بينهما هو ما ربط بينهما .. فصارتا صديقتين متحابتين ..

ولو أن الشبه كان كبيراً في ملامح الطفلتين .. إلا أن ليلى كانت طفلة رقيقة تحسن الأدب .. وتحسن التعامل مع الآخرين .. وكان لها نظرات تسحر القلوب .. وتكسب ودهم وتعاطفهم .. وهو ما لم يكن متوافراً لدى الطفلة سمر .. إذ كان الناس ينجذبون إلى جمالها الأخاذ .. ولا يلبثون أن ينفضوا من حولها .. لإفتقادها اللياقة المعهودة في الأطفال . . وسوء معاملتها للأخرين .. وعصبيتها التي سرعان ما كانت تظهر في عينيها .. وكأنها الشرر يتطاير ..

و كانت سمر يتيمة الأبوين .. ولا أقارب لها .. ولا يعيلها أحد .. اللهم إلا السيدة أسماء .. التي كانت ترعاها منذ وفاة أبيها .. السيد محمد يوسف على .. ثم وفاة أمها .. التي لحقت به بعد شهور قليلة ..

وهو ما جعل أسرة السيد مجدي تكفلها .. وتتكفل برعايتها .. وتربيتها .. وإنتقلت معهم إلى القاهرة ..

الفصل الثاني

وقفت سيارة فخمة لاندروفر سوداء .. أمام مكتب السيد " عبد الباسط " .. سمسار العقارات في حي " لطف الله " .. بمدينة الفيوم ..

وكانت السيارة فاخرة .. فارهة .. ليس لها نظير في المدينة .. كما أن عبد الباسط لم يكن قد رأى مثلها من قبل .. فظل يمعن النظر إلى السيارة التي خطفت لبه .. وعقله ..

ولم يكن لأحد أن يخطف بصر عبد الباسط الذي تثبت على هذه السيارة .. إلا صاحبتها .. التي رآها عبد الباسط تنزل من السيارة .. وتتجه صوب مكتبه .. فتسمرت عيناه عليها .. وراح يردد عن غير وعي .. " سبحان من خلق فأبدع .. وهل تكون الحورية أجمل منك أيتها الفتاة ".. و نهض واقفاً.. بينما كانت تدخل المكتب ..

مع إبتسامة رقيقة .. قالت الفتاة :

- صباح الخير ..

فتح عبد الباسط فاه .. تلعثم .. لم يقل شيئاً ..

إتسعت شفاة الفتاة بالإبتسام .. فقد أدركت ما به .. قالت :

- ألا تردون التحية في الفيوم ؟! ..

وكأنه عاد إليه رشده .. أصلح عبد الباسط من هندامه .. جلس .. وقد سبقته الفتاة بالجلوس .. قال وقد تمالك نفسه :

– صباح الخير يا فندم .. أفهم من ذلك أنكِ لستِ من أهل الفيوم

.. صحيح ؟

– إنها المرة الأولى لي .. التي أزور فيها الفيوم .. ولو أنها ليست المرة الأولى التي أزور فيها مكاتب العقارات .. بل السادسة .. لم أجد ما أرغب فيه .. فهل تكون الأخيرة ؟! ..

قال عبد الباسط مبدياً الكثير من الإهتمام :

– إن شاء الله يا فندم تكون الأخيرة .. بس نعرف طلباتك أيه ..

بينما كانت الفتاة ترفع بعض خصلات شعرها الذهبي التي غطت عينيها وضعت ساقاً على ساق .. وهي تراقب عيني عبد الباسط .. وقالت :

– فيلا .. فيلا ياسيد عبد الباسط .. تطل على البحر ..

– وكيف عرفتِ إسمي يا سيدتي ..

أجاب بدهشة ساذجة ..

ثم رفع ياقة قميصه بغرور أكثر سذاجة .. قائلاً :

– أم أن أحدهم قد دلّكِ على عنوان مكتبي .. إنني .. يا سيدتي .. وبلا فخر .. من أشهر سماسرة الحي .. بل من أشهر سماسرة الفيوم .. وفي إبتسامة ماكرة .. أمسكت الفتاة أحد كروت التعريف الموجودة على المكتب .. ورفعته إلى مستوى عينيها .. قائلة :

- بل أنت من دلني عليك يا سيد عبد الباسط ..

ثم راحت تقرأ ..

– عبد الباسط عبد الله .. سمسار عقارات .. أراضي .. فلل .. شقق

سكنية .. للإيجار .. أو التمليك .

وتراجعت نبرة الفخر والتفاخر لدى عبد الباسط .. وقال :

- تحت أمرك يا فندم ..

أخرجت الفتاة صندوق السجائر من حقيبة يدها .. وأخرجت منه سيجارة ووضعتها بين شفتيها في رشاقة .. وأخرجت القداحة الذهبية .. ثم أشعلت السيجارة .. وراحت تنفث دخانها في الهواء .. وهي تقول :

– أريد أن أشتري فيلا .. وأفضل أن تكون على البحر .. ولا أخفيك سراً يا عبد الباسط .. إن هذا هو الحي الوحيد الذي أحسستُ براحة غريبة تجاهه .. أحسست وكأنني أعرفه .. على الرغم أنني زرت عدة أحياء أخرى .. لم يكن لديّ هذا الشعور .. حبذا لو كان لديك فيلا في هذا الحي .. خاصة لو تطل على هذا البحر الرائع ..

وانفرجت أسارير عبد الباسط .. يبدو أنه أصبح قاب قوسين أو أدنى من عملية مربحة ..

قال متفائلاً :

– موجود يا فندم .. طلبك موجود إن شاء الله .. إنها فيلا ملاصقة لمدرسة الزهور الإبتدائية .. وتطل على البحر مباشرة .. وسوف تناسب ذوقك .. إنها تتكون من ثلاثة أدوار .. جميلة جداً .. رائعة التصميم .. بها حمام سباحة .. وحديقة .. إنها فعلا ما تبحثين عنه .. وقيمتها مناسبة تماماً ..

قالت الفتاة وهي تنهض واقفة ..

- يبدو أنك ستكون السادس .. والأخير يا عبد الباسط ..

ويبدو أن الكثير من عدم التركيز قد وشت به عيناه وهما تحملقان ..

وهو يسأل :

– السادس في أي شيء يا سيدتي ؟! ..

قالت الفتاة في ملل :

– عبد الباسط !! .. هلا ألقينا عليها نظرة ؟! ..

– حاضر يا فندم .. حاضر .. إنتظري قليلاً .. ريثما أحضر المفتاح ..

وبعد ربع ساعة كانت الدكتورة " علياء" في إنتظار الفتاة أمام باب الفيلا ..

وما أن رأتها تقبل عليها .. حتى إتسعت شفتاها بإبتسامة عريضة ..

قائلة :

– هل أخيراً تقطن حينا فتاة بهذا الجمال ؟! ..

وفي محاولة للرد على هذا الإستقبال الودود .. إبتسمت الفتاة .. وقالت :

– لقد سبقتني إلى الحي فتاة أكثر مني جمالاً .. منذ أن تشرف بوجودك .. فاجأها هذا الحضور في ذكاء الفتاة .. وصفاء ذهنها .. عبرت علياء عن إعجابها بالفتاة .. بقولها :

– أووو .. يبدو أننا أمام الجمال والذكاء .. اللذان قل أن يجتمعا في فتاة .. يبدو أننا سنكون أصدقاء ..

– عليّ أن أعترف يا صديقتي أن لكِ أسلوباً للتعارف يأسر القلوب ..

– لا شك أننا سوف نكمل حديثنا .. بينما نشرب الشاي .. عندي فوق .." وأشارت بأصبعها إلى أعلى في الفيلا المجاورة " .. بعد أن تعاينني الفيلا ..

– سيكون لي الشرف يا ..؟

قالت علياء .. تعرف عن نفسها ..

– أنا الدكتورة علياء .. صيدلانية ..

– تشرفنا يا دكتورة علياء .. وأنا ليلى .. ليلى مجدي محمود المليجي .. محامية .. ولو أنني لم أمارس المهنة بعد ..

– محامية ؟! ..

– نعم .. ولكنني لا أنصحك بأن توكليني للدفاع عنكِ في أية قضية .. فأنا محامية مبتدئة .. لا تعرف شيئاً بعد عن القانون .. ولا المحاماة .. وسوف تخسرين قضيتك بفضلي .. من أول جلسة !

- لا بأس .. إذا كنتِ سوف تحصلين على أتعابك من خصمي !!

- بالتأكيد .. فليس من العدل أن تخسري القضية .. والأتعاب !!

ضحكت ليلى .. وضحكت علياء على هذه الصراحة التي تتمتع بها ليلى .. والأسلوب الرقيق في المزاح ..

– يا لها من مصادفة جميلة .. فإن خالي " صفوت " يعمل محامياً كبيراً في القاهرة .. ربما لو تدربتِ على يديه لكنتِ أستاذة في المحاماة ..

– أستطيع أن أدّعي أنه محام كبير حقاً .. بعد أن رأيت إبنة أخته !

– لن أستطيع مجاراتك في تلميحاتك الذكية .. و أرجو أن تعجبك الفيلا .. فأنا حريصة على صداقتك ..

– وأنا أيضا أرجو ذلك .. خاصة أن إسمك يعجبني ..

ورددت بإعجاب :

دكتورة علياء .. يا له من إسم جميل ..

– أشكرك .. هيا بنا إذن .. هل أتيتِ بمفردك ؟! ..

– للأسف .. فأنا وحيدة في هذا العالم ..

– لم تعودي كذلك ..

– نعم .. بعد أن أصبح لي صديقة رائعة مثلك ..

- بالمناسبة .. لي معملي الخاص .. وأقوم بممارسة هوايتي المفضلة فيه .. باستخراج بعض الأدوية والتركيبات .. وأستعمله في بعض الأبحاث الخاصة بالدراسات العليا التي تستهويني كثيراً.. و أفرغ له مساحة كبيرة من الدور الثالث ..

وبدأت د. علياء تزيل السلسلة الغليظة التي تغلق الباب الخشبي الصغير .. وقد تراكمت الأتربة عليه بكثرة .. ودخلت إلى الحديقة المؤدية إلى باب الفيلا الداخلي .. ودخلت من خلفها ليلى .. إلا أن ليلى أمسكت رأسها وهي تقول في دهشة :

– يا إلهي .. لست أدري ما أصابني يا دكتورة علياء .. إنني أسمع

أصواتاً قادمة من بعيد تطن في أذني ..

توقفت د. علياء عن السير .. وتساءلت في دهشة :

– أية أصوات يا ليلى .. ؟ لا أسمع شيئاً .. هل هو صداع أصابك فجأة ؟ هل هو الإرهاق ؟ ..

قالت ليلى مؤكدة :

– كلا .. كلا .. ليس بي صداع .. إنني أرى أشياءً .. وأسمع أصواتاً .. منذ وطأت قدماي هذه الحديقة ..

– هل تستطيعي تمييز هذه الأصوات ؟

– لا .. لا أستطيع .. إنها أصوات متداخلة .. قد تكون أصوات الأطفال هي الأكثر وضوحاً .. أطفال يلعبون .. أو يصرخون ..

جاءت تعبيرات الدهشة والحيرة على وجه علياء .. معبرة عما أصابها من الذهول والإرتباك .. فسألت :

– هل زرتِ هذا المكان من قبل ؟

– إنها المرة الأولى لي في الفيوم .. هذا المكان الذي ترينه مليء بالأحجار والأتربة ..

مشيرة بيدها إلى مكان حمام السباحة ..

وتابعت .. متسائلة :

- لقد تخيل لي لوهلة .. أنه حمام سباحة مليء بالمياة الصافية .. فهل ترينني قد جننت ؟ .. هل أهذي ؟! ..

– هيا يا ليلى .. هيا ندخل الفيلا .. ونرى ما سوف يحدث ..

وفتحت د. علياء باب الفيلا الداخلي .. وتقدمت أمام ليلى إلى الداخل ..

كانت أبواب ونوافذ الفيلا ضخمة .. تسير على قطبان حديدية ..

وهى تبدأ بسلالم كبيرة وعريضة .. على جانبيها أحواض زرع مبنية .. وتؤدى هذه السلالم إلى باب الفيلا .. و يسبقها العديد من الأعمدة القصيرة .. التي تحمل فوقها المصابيح الكهربائية ..

وتتكون الفيلا من ثلاثة أدوار وبدروم ..

ويوجد سلم يربط بين جميع أداور الفيلا .. خلاف المصعد ..

كما يوجد بكل دور حمامان .. ومطبخ ..

وكانت أرضيات الفيلا مجهزة برخام من النوع الثمين ..

وحوائط الفيلا بالكامل تتمتع بقدر جميل من الفخامة ..

أما الدور الأول .. فيوجد به حجرة بها مدفأة مبناة داخل الحائط ..

و تضم صالوناً .. ويوجد بها شباك كبير يطل على مدخل الفيلا ..

كما توجد حجرة صغيرة بها شرفة .. تطل على البحر ..

أما الدور الثانى .. فيوجد به جناحان للنوم ..

وبالدور الثالث غرفتان .. وروف كبير كان به العديد من أحواض الزهور ..

وأعلى الفيلا يوجد مدخنة وخزانات للمياة ..

وصاحت ليلى بفزع :

- أليست غرفة النوم الرئيسة في الجناح الأيمن ؟! .. هناك .. فوق .. في الأعلى .. وأما الجناح الأيسر .. فإنني أراه يحوي غرفتي نوم للأطفال .. أرجوك يا دكتورة علياء أخبريني .. هل أهذي ؟! .. أم أن ما أتخيله إنما هو حقيقي ..

ولم تستطع د. علياء أن تنطق ببنت شفة .. بل أصابها الذهول .. واكتفت بأن أومأت برأسها أن نعم .. إن ما تقولينه حقيقي ..

وبينما كانت ليلى تصعد الدرجات .. صاحت في عدم توازن :

– ربما لا أكون مجنونة يا دكتورة .. ربما لا أكون مجنونة .. ربما كانت هذه الفيلا مسكونة .. نعم .. إنها مسكونة .. إن الأشباح هي التي تعبث بخيالي .. وتصور لي أنني أرى كل هذه الأشياء .. وتخيل لي أنني أسمع كل هذه الأصوات ..

وشيئاً فشيئاً تحاول د. علياء السيطرة على تركيزها .. وتجمع شتات أفكارها .. سألت ليلى في نبرة حاولت أن تجعلها هادئة :

– ليلى .. حاولي أن تستجمعي شتات نفسك .. وتكوني أكثر هدوءاً .. وأخبريني .. كيف تشعرين الآن .. في هذه اللحظة .. كيف تشعرين .. بارتياح ؟ .. بخوف ؟ .. بفزع ؟ .. بلا شيء من كل هذا ؟ ..

– من الغريب أنني لست خائفة .. إنني فقط أخشى أن أكون قد جننت .. ربما عليّ أن أزور أطباء نفسانيين ..

– لا تشغلي بالك الآن بالأطباء النفسانيين .. فهم كثيرون ..

يمكنك زيارة من شئتِ منهم .. ولكن .. وبما أنك تتحدثين معي حديث العقلاء .. فاستبعدي خشيتك إذن من هذا الإحتمال .. فأنتِ لستِ مجنونة – إذن فالبيت مسحور .. أو مسكون تملأه الأشباح ..

– حتى هذا الإحتمال مستبعد .. فإذا كان هذا الإحتمال موجوداً .. وكانت الفيلا مسحورة أو مسكونة .. لما أحسستِ بالإرتياح .. ولمُلِئْتِ خوفاً .. وفزعاً .. ورعباً ..

– ماذا إذن .. ماذا تبقي لنا نفسر به ما يحدث لي ؟

– بقيَ لنا العقل .. هيا يا صديقتي نصعد إلى بيتي .. فنشرب الشاي .. ونترك الأمرَ قليلاً .. وسوف نجد التفسير المنطقي .. لما يحدث لكِ .. ولم تجد ليلى مناصاً من الموافقة ..

وصعدتا معاً إلى بيت د. علياء ..

وأبدت ليلى إعجابها الشديد بمستوى الجمال الذي شيدت به فيلا د. علياء .. والتصميم الهندسي الرائع .. الذي ينم عن الذوق الرفيع .. كانت الفيلا تتكون من ثلاثة أدوار .. الدور الأرضي يضم غرفة معيشة .. ومطبخاً .. بجانب تراس كبير بواجهة زجاجية بارتفاع دورين .. أمّا الدور الثالث فيحوي غرفة نوم رئيسية .. وحجرتي نوم إضافيتين .. وحجرة كبيرة منعزلة .. إتخذتها د.علياء معملاً لأبحاثها .. وأثثتها تأثيثاً جيداً كمعمل أبحاث ..

وكانت غرفة الصالون في الدور الثاني .. وحمامان .. ومطبخ ..

.. وكان للفيلا مدخلان .. مدخل من الناحية المواجهة للبحر .. يمر بحديقة واسعة تؤدي إلى الباب الرئيسي الخارجي للفيلا .. ومدخل آخر جانبي يتكون من باب خشبي صغير يؤدي مباشرة إلى باب الخدم .. ولذلك فإنه لا يغلق بالسلسلة إلا في المساء ..

وأثناء تناول الشاي كانت ليلى تجلس متوترة .. وطلبت من د. علياء أن تأذن لها بالتدخين .. وأخرجت سيجارة وأشعلتها بالقداحة الذهبية التي لا تفارق حقيبتها مع صندوق السجائر ..

وقدمت صندوق السجائر إلى علياء ..

- هل تدخنين ؟! ..

– كلا .. شكراً .. ألاحظ أنك تستعملين يدك اليسرى .. فهل أنت عسراء ؟ .. يقولون أن من يستعمل يده اليسرى غالباً ما يكون ذكياً ..

وبدأت ليلى تخرج من حالة التوتر .. وتنسى ما حدث معها في الفيلا .. فهي تشعر مع علياء بالثقة والأمان ..

وأجابت على مداعبة علياء بالإبتسامة .. قائلة :

– لا أعتقد أن لذلك علاقة بالذكاء .. وإلا لكنتِ أنتِ أيضاً عسراء .. إنها العادة .. فقد إعتدتُ أن أستعمل يدي اليسرى ..

– إنما أمزح معك .. لكي أخرجك من مود القلق .. والخوف ..

وأمسكت د.علياء يد ليلى بين راحتيها وراحت تدلكها برفق .. وهي تسألها :

– ألا زلتِ متوترة ؟ .. أو خائفة ؟ ..

– متوترة قليلاً .. خائفة لا .. قد لا تصدقي أنني منذ وصلتُ إلى هذا الحي .. أشعر بارتياح أجهل مصدره .. بل إن هذا الشعور بالراحة ربما إزداد بعد دخول الفيلا .. ولم أشعر بالخوف إطلاقاً .. إن مصدر توتري هوعدم إدراكي كنه هذه الأصوات التي أسمعها .. والأشياء التي أراها ..

إنني أستطيع أن أصف لك الآن مكان الحمامات .. وغرف النوم ..

– قد يكون هذا غريباً .. ولكنه ليس مستحيلاً ..

– لديك تفسير إذن ؟!

- هناك تفسير طبيعي وبسيط لكل ذلك .. وهو أنه سبق لكِ أن رأيتِ كل هذا ..

- في الأحلام؟

- كلا .. وإنما في الحقيقة ..أي أن كل هذا قد لا يكون سوى ذكريات تم استثارتها ..

- ولكن هذه هي أول مرة لي أزور فيها مدينة " الفيوم " .. وأعيش طول عمري في " القاهرة " ..

- هل ولدتِ في " القاهرة " ..

وارتبكت ليلى .. يا له من سؤال مفاجيء .. إنها لم يخطر ببالها من قبل أن يسألها أحدهم أين ولدت .. إنها لا تعرف أين ولدت .. فأين

تكون قد ولدت .. إذا لم تكن قد ولدت بالقاهرة .. إن كل ما تعرفه أنها قضت حياتها في القاهرة ..

ولذا أجابت بكلمات مرتبكة .. متقطعة .. غير واثقة ..

– نعم .. أعتقد ذلك .. نعم .. نعم .. لقد ولدتُ في القاهرة .. يا إلهي .. لقد جعلني سؤالك أشُك .. لم يواجهني هذا السؤال طول عمري .. أكيد ولدتُ في القاهرة ..

ومدت يدها في حقيبتها .. وأخرجت منها بطاقتها الشخصية .. وهي تقول :

– ألا تحتوي البطاقة الشخصية على هذا البيان ؟! ..

وبدأت تقرأ بيانات الهوية :

– هذا هو الإسم .. ليلى مجدي .. والعنوان في القاهرة .. ثم الرقم القومي .. وتاريخ الميلاد .. يا ربِّ .. لا تحتوي على مكان الميلاد .. إنني موقنة من هذا .. لقد ولدتُ في القاهرة .. ولم يتحدث أحد عن خلاف هذا .. في أية مناسبة ..

ثم أدارت البطاقة .. وأخذت تقرأها من الخلف :

– تاريخ إصدار البطاقة .. ثم المهنة .. محامية .. ثم أنثى .. الحالة الإجتماعية .. تاريخ انتهاء الصلاحية .. لماذا لا تحمل البطاقة بياناً عن مكان الميلاد ..

- يبدو لي أنه من المحتمل تماماً .. أن أباكِ وأنتِ طفلة بعد .. إنتقل بكِ

من مدينة " الفيوم " .. إلى القاهرة .. مع باقي أفراد الأسرة طبعاً .. وربما ولدتِ في هذا البيت.. خاصة و إنكِ قلتِ لي أنه بدا لكِ مألوفاً .. بمجرد أن قمتِ بدخوله .. ولا ريب في أن الغرفة التي تتحدثين عنها في الأعلى .. كانت مخصصة لكِ وأنتِ طفلة ..

نعم .. أنظري .. يبدو أن كلامي إلى حدٍّ ما معقول .. فقد كانت ممهدة لإقامة طفل .. لأن نافذتها مزودة بالقضبان .. أنظري لتري بنفسك أن توقعاتي ليست بعيدة تماماً ..

- الحق أنني أحسستُ من البداية بأنني أعرف أين يوجد كل شيء بالبيت .. ولكن كيف يحدث أن آتي إلى " الفيوم " بالذات .. وأن أتوجه إلى نفس الحي .. وأن أشتري نفس البيت .. الذي كنتُ أقيم فيه منذ سنوات طويلة ..

- ليس هناك مستحيل .. والواقع أن هذه مصادفة غريبة .. ولكنك تعرفين أن المصادفات الغريبة تحدث ..

وراحت علياء تشرح وجهة نظرها .. وما تعتقد أنه ربما قد حدث ..

- لقد أتى بكِ الحنين إلى الفيوم .. وكنتِ تبحثين عن بيت لكي تشتريه هنا .. في هذه الناحية بالذات .. لأن ذكريات هذا الحي تتلائم تماماً مع ما تتمنين في وعيك الباطن .. حيث كنتِ في صغرِك تحبين هذا المكان .. وجاء بكِ السمسار إلى بيت أحسستِ تجاهه بالراحة .. لأنه أعاد إلى ذاكرتك .. بعض الذكريات الدفينة في وعيك الباطن .. وقررتِ شراءه

.. رغم توترك ومخاوفك ..

ثم وجهت إليها سؤالاً :

– أم أنكِ لم تقرري بعد ؟! ..

– بلى .. لقد قررتُ بالفعل .. وسوف أدفع المبلغ المطلوب ..

– ممتاز .. وكنتِ سوف تدفعي له .. ولو كان سعره أكثر بكثير مما طلبه منكِ السمسار .. وتأكدي أن كل هذا يمكن أن يحدث .. فالحياة مليئة بالوقائع التي ربما كانت أكثر في غرابتها من هذه المصادفة ..

على الأقل .. يظل هذا التفسير بأنها مصادفة .. أكثر قبولاً من إعتبار\ أن البيت مسكون .. أو مسحور .. أو أن بكِ مسّاً من الجِنّ ..

ويمكننا الآن البحث .. أي التفسيرين هو الحقيقي .. للتعامل معه وإستبعاد الآخر ..

ولو كان البيت مسكوناً أو مسحوراً .. لكان إحساسك بالنفور والخوف .. وليس بالإرتياح كما ذكرتِ ..

وأسهبت علياء في شرح ما تراه حول هذا الموضوع .. فأضافت ..

- إن ما يتملكنا من الخوف .. وما يحقق لنا السعادة .. في صغرنا وسنوات طفولتنا .. لا ننساه في حقيقة الأمر إلا ظاهرياً .. لأن ذكرى هذه الأشياء .. سعادة أو مخاوف .. إنما تظل ذكراها دفينة دائماً .. في وعينا الباطن .. ثم تظهر بعد سنوات وسنوات .. بظهور ما يستثيرها .. وما يذكرنا بها ..

قالت لها ليلى بإمتنان ظاهر .. وعينان تلمعان ببريق الشكر .. وقد بدا عليها الإقتناع بوجهة نظرها في شرح وتفسير ما يحدث :

– أشكرك يا د. علياء .. لا أعرف ماذا كنت سوف أفعل بدون وجودك معي اليوم .. لا شك أنني كنتُ سوف أفرِغْ هلعي وخوفي ورعبي .. وبالاً على السمسار المسكين .. ولكن من حسن الحظ .. أن يجد الإنسان شخصاً جميلاً رائعاً مثلك .. يناقش معه مشاكله .. خاصة لو كان سليم التفكير .. يلتمس الحلول العملية والعلمية .. بدلاً من إلقاء العبء على الأشباح .. والسحر .. والعفاريت ..

ضحكت علياء .. وقالت مازحة :

- يا عزيزتي .. عليك أن تخافي من البشر .. وليس من العفاريت .. ولا الجن ..

فأضافت ليلى لحديث علياء ما يؤكده .. قالت :

- نعم .. وعليك أن تخشي من البشر .. من إقترب منك أكثر .. ومن أحسنتِ إليه ..

- يا إلهي !! .. ربنا يستر !!

وضحكت ليلى .. وأضافت :

- أقول هذا رغم أنني أنتوي الإقتراب منك أكثر .. فلا تخشيني !!

ومع إبتسامة مرتعشة .. سألتها علياء :

– هل أتصل إذن بالسيدة مالكة الفيلا .. لكي تأتي وتوقع معك العقود ؟!

- أليست لكم ؟!.. لقد إعتقدتُ أنها فيلتكم ..

– بل لسيدة تقيم في الإسكندرية .. وقد تركت المفتاح لديّ بدلاً من أن تتركه للسمسار ..

– أخبريها إذن .. فسوف أشتريها ..

الفصل الثالث

كانت د.علياء تمارس هوايتها في معمل الأبحاث الخاص بها في بيتها .. وتتابع دراستها العليا في تحضير الأدوية والتركيبات والمستحضرات الطبية .. عندما رن الموبايل الخاص بها ..

– ألو ..

– صباح الخير على أحلى دكتورة ..

– أهلاً .. أهلاً يا ليلى .. صباح الخير .. إنتِ فين من يومين .. منذ أن كتبتِ عقد الفيلا .. لم أسمع صوتك ..

– لقد إنشغلت في تجهيز كشوف بما يحتاج صيانة في الفيلا .. وأعمال الصيانة المطلوبة .. والأثاثات .. أشياء كثيرة مطلوبة ..

- يمكنني مساعدتك إذا أردتِ ..

– كيف إذا أردتُ .. إنه ليس إختيار يا عزيزتي .. فهل لي في هذه المدينة سواكِ ؟ ..

– تحت أمرك إذن .. فلن أتأخر في عمل كل ما من شأنه أن يرضيك ..

– أعلم هذا .. وأشكرك جداً .. أين أنتِ الآن ..

– أنا في البيت .. في معملي .. في إنتظارك ..

– ليس الآن .. ربما أشغلك عن أعمالك .. فليكن في وقت آخر ..

– هيا يا ليلى .. أنا في إنتظارك .. لن تشغليني عن شيء ..

بعد دقائق معدودة .. كانت ليلى معها في المعمل ..

كانت الحجرة واسعة .. نظيفة .. تفوح منها رائحة العقاقير .. يتسلل إليها شعاع من ضوء النهار .. من ثنايا الستار المعدني .. على نافذتها الكبيرة .. كما يوجد بها ثلاثة دواليب معدنية .. مخصصة لحفظ العقاقير الطبية .. والتركيبات المستخلصة من النباتات ..

كما يظهر من نافذتها الأرض الخضراء المزروعة .. والبحر ..

- إن منظر البحر من هنا رائع ..

قالت ليلى ذلك وهي تتفقد المكان .. وتشاهد المنظر من النافذة ..

– إنه حقاً مشهد رائع .. مما يجعل عملى هنا مريح .. بل ممتع ..

فلا أشعر بملل .. مهما قضيت هنا الساعات الطوال في العمل ..

وبينما كانت ليلى تجول ببصرها في رحلة إستكشافية للعبوات المتراصة على الأرفف .. لفت نظرها ما كتب على إحدى العبوات .." كونيين " .. فسألت د. علياء ..

– أهذا هو الكونيين إذن .. الذي أُعدِم به الفيلسوف سقراط ؟

– نعم .. إنه من نبات الشوكران .. وهو من أكثر النباتات سمية على وجه الأرض ..

- أعلم أن من أعراضه الغثيان .. والقيء .. وآلام معوية حادة .. وإرتعاش .. وشلل ..

- نعم .. إنه يحدث أيضاً قصوراً في الجهاز التنفسي .. أو إنقباض حاد في عضلات البطن .. مع أن الوعي يبقى حاضراً حتى النهاية ..

– إنه حتى لا يترك آثاراً تدل عليه في جسم الضحية ..

– هذا يحتاج إلى إهتمام خاص في التحقيقات الجنائية ..

وأشارت ليلى إلى العقار الذي يليه على الرف .. قائلة :

– وذاك هو " الزرنيخ " .. الوصفة السهلة .. للتخلص من الخصوم !!

– آه .. هذا يجعلني لا أفكر يوما أن أكون خصماً لكِ !!

قالت علياء ذلك ضاحكة .. ثم أردفت :

– حقاً .. فهو ليس له طعماً .. أو لوناً .. أو حتى رائحة ..

– وذلك مما يصعب إكتشافه في الجثة !!..

– اللهم إحفظنا ..

وضحكتا .. وأضافت ليلى :

– إنه يؤثر على القلب .. والكبد .. وحين يعطى بجرعات بسيطة لفترة طويلة تبدو الضحية في حالة مرض .. بدون إثارة الشكوك .. ثم تنتهي للموت بطريقة شبه طبيعية .. حيث يؤدي إلى التقيؤ .. والإسهال .. ووجع في المعدة .. والتعرق .. ثم تبدأ العضلات بالتقلص .. عضلات الجسم .. وحتى اللسان .. وأتذكر أن بيتهوفن .. الموسيقي العبقري .. ونابليون بونابرت .. الإمبراطور الفرنسي .. قد جرى تسميمهما بهذا النوع من السموم ..

– ماذا وراءك يا عزيزتي .. هل تخططين لقتل أحدهم .. أم أن دراسة السموم هي هوايتك المفضلة ؟! ..

ثم أضافت .. من خلال ضحكاتها :

– ولكن إحذري يا عزيزتي .. فإنه من السهل على الطبيب الشرعي إكتشافه من خلال تحليل الشعر أو أظافر الضحية ..

– إلا إذا كان التخطيط للقتل معداً له جيداً .. كأن يموت الضحايا في حادثة سيارة مرعبة .. فيغطي ذلك على واقعة التسميم ..!! .. فيكون التركيز على الآثار الناجمة عن حادث السيارة .. فتفلتي بفعلتك !!

وهنا تمسك علياء رأسها بين يديها .. صائحة في إنزعاج واضح :

– يا ألله .. يا ألله .. من أنتِ .. إنكِ بدأتِ تخيفينني .. ما هذه الأفكار الرهيبة يا ليلى .. أخشى أن جمالك يخفي وراءه الكثير !!

– هل تخافي مني .. بدلاً من أن تقولي لي أن خيالي واسع ؟!

– أرجوك .. لا تطالعي المزيد من العبوات .. هيا بنا .. فأنا مرعوبة .. إن تناول الشاي أفضل من هذه الرحلة .. المخيفة .. بين أفكار السموم المختلفة .. فلقد بدأت أستشعر ملك الموت .. عزرائيل .. يحوم حول المكان !

فضحكت ليلى وقالت :

– إنني فعلاً في حاجة إلى تناول قدحاً من الشاي ..

عندما طلبت علياء من ضيفتها تناول الشاي في الصالون .. كانت تود لو ترفض .. أو تعتذر .. فقد أزعجها هذا الحوار .. وتمنت لو ينتهي هذا اللقاء !

ولما قبلت ليلى الدعوة ببساطة شديدة .. كانت علياء ترجو في نفسها أن يكون زوجها قد خرج .. أو حتى يكون لا زال نائماً !! ..

فإن وليد زوجها ضعيف أمام الجمال !! ..

صحيح أنه لا يحب التورط في علاقات عميقة مع البنات أو السيدات الجميلات .. إلا أنه في النهاية يجد نفسه مرتبطاً بهن بشكل ما .. ولو في علاقة سطحية ..

وذلك رغم أن زوجته علياء لم يكن ينقصها الجمال .. ولا حتى الذكاء .. والثقافة وسعة الإطلاع .. ناهيك عن مكانتها الإجتماعية .. فهي دكتورة صيدلانية مرموقة ..

وكثيراً ما كان ذلك سبباً أساسياً في خلافات نشبت بينهما .. وفي كل مرة .. كان يعتذر لها .. مع وعد بعدم العودة .. فكانت تسامحه .. وهي على يقين بأن العودة حتمية !! .. فهكذا تكوينه .. إنه ضعيف أمام الجمال .. ضعيف أمام النساء ..

وكثيراً ما تأتي الرياح بما لا تشتهي السفن !! ..

أو كما يقول المثل .. " تخاف من عفريت .. يطلع لك " !!

فقد كان وليد يجلس في الصالون .. يحتسي القهوة .. ويطالع الجريدة .. وقد إرتدى ملابس الخروج ..

وفور أن رأته علياء بادرته قائلة :

– لقد إعتقدتُ أنك غادرت .. أليس لديك أعمال اليوم ؟! ..

كانت تتمنَّى أن يقول لها " نعم .. لديّ موعد .. وسوف أغادر الآن ".. ولكنه لم يكن قد سمعها أصلاً ..

فقد إتجه بكل كيانه إلى الضيفة .. الجميلة .. وإبتسم دون سبب واضح .. وقال مبدياً إعجابه الشديد :

– لم أكن أعلم أن لدينا ضيوف ..

فقالت علياء في تأفف واضح :

– إنها ليست ضيفة .. إنها صديقتي ليلى .. المالكة الجديدة للفيلا المجاورة ..

قال في سعادة ظاهرة :

– تشرفنا ..

وأشارت علياء إلى وليد .. ونظرت إلى ليلى .. وهي تقدمه لها :

– المهندس وليد .. زوجي ..

ومع إبتسامة خفيفة .. حيته ليلى قائلة :

– تشرفنا يا فندم .. إنه يسعدني أن أكون بينكم .. فالدكتورة علياء لها من الجمال والكاريزما والطيبة .. ما يأسر القلوب ..

وجلست ليلى في أقرب كرسي .. وأخذت علياء مكانها إلى جوارها .. ومضي بعض الوقت .. تحدثت خلاله المرأتان .. ولا يستطيع وليد أن يقدر كم كان هذا الوقت الذي مضي .. و لا يعرف فيم كانتا تتحادثان .. فهو في واقع الأمر قد إدّعى أنه مشغول في قراءة الجريدة .. بينما كان

يثبت عينيه على الضيفة الجميلة .. من فوق حافة الجريدة ..!!
إن جمالها أخاذ .. يخطف الأبصار .. ويستولي على القلوب ..
فحركت في نفسه كل ما يثيره في المرأة الجميلة .. وأثارت في داخله كل ما يحركه تجاه الأنوثة الطاغية .. التي تجسدت في هذه الفتاة .. ورآها جميلة .. تنبض بالأنوثة .. ذات سطوة كالجاذبية .. في عينيها زرقة ماء البحر .. ولكنه بحر هائج .. تلاطمت أمواجه بقوة .. فسحبته إلى الأعماق .. وسلبت قدرته على التحكم في نفسه .. فلم يعد قادراً على غض بصره عنها .. وسلبت إرادته .. فلم يعد قادراً على الكف عن النظر إليها .. والتفكير فيها .. والإنشغال بها .. وربما كانت علياء نفسها لا تعرف فيم كانت تتحدث مع ضيفتها الحسناء .. لأنها .. في حقيقة الأمر .. كانت مشغولة طول الوقت بمراقبة زوجها وهو ينظر إلى ليلى من فوق حافة الجريدة !!.. وقد تعلقت عيناه بها .. فبدا لها إنساناً مسلوب الإرادة !! ..
جلست ليلى .. وقد وضعت ساقاً فوق ساق .. بينما كانت شفتاها القرمزيتان تقبضان على السيجارة .. وقد توهجت جمرتها فراحت تنفث دخانها الكثيف في الهواء .. وهي تراقب وليد من جانب عينها .. في خبث متعمد .. فشعر أن قلبه قد تناثرت ذراته في أرجاء الغرفة .. لكي يتحد مع دخان سيجارتها .. وتلفه غمامة من الدخان .. وهو لا يعلم لماذا يثيره جنسياً .. مراقبتها وهي تدخن ..

كان يراقبها بشغف .. ويزفر .. وكأنه هو من يدخن ..

كان قلبه يخفق .. مثلما خفق أول مرة يشاهد فيها فتاة .. وقت أن كان مراهقاً .. حديث العهد بالفتيات ..

إن نظراتها إليه ترسل له دعوة مكشوفة .. بأن يقتحم حياتها بلا خوف ولا تردد .. كان يراقبها .. من فوق حافة الجريدة ..

رأى إبتسامتها المشاغبة ..

كانت عيناه تتجهان إلى صدرها الممتليء .. فيشعر باللهب يلحف وجهه .. بل يحرق صدره ..

يبدو أنه قرر من اللحظة الأولى التي رآها فيها .. بل من النظرة الأولى .. أنه سوف يحبها .. ويستسلم للغوص في زرقة بحر عينيها .. رغم أنه متزوج ..

إنها المرة الأولى له .. التي يؤمن فيها .. بالحب من أول نظرة !!

بل الخيانة من أول نظرة !!

كل شيء فيها أعجبه ..

إن أسنانها لامعة .. تبدو مع إبتسامتها .. ناصعة البياض .. متناسقة .. إنها عقد من اللؤلؤ ..

إنه يشعر أن قلبه على وشك الرحيل من مكانه ..

ولم يلاحظ أن زوجته تراقبه بدورها بامتعاض واضح .. وهو يدفن وجهه في الجريدة .. بينما يرسل نظراته .. لكي تلتهم أنوثة ضيفتها ..

تجاهل صريح بل مخزي لوجود زوجته .. ومشاعرها ..

ولكن شخصية الزوجة المتزنة .. كانت دائما تجعل ردود أفعالها تحت السيطرة .. بعيداً عن الإنفعال .. وتعكس الكثير من الثبات الإنفعالي .. ولذا فقد إقتربت منه وهمست له قائلة :

– ماذا يا زوجي العزيز .. هل تقضي اليوم كله في قراءة هذه الصفحة ؟! .. أرى أنك لا تطالع باقي الصفحات ..

وفي محاولة مكشوفة .. ولكي يخفي إرتباكه .. أخذ يفتش بين صفحات الجريدة .. لا يلوي إلى شيء .. وغض بصره مؤقاً .. عن الضيفة الساحرة الجمال ..

كانت ليلى في عينيه تشبه الحورية .. بشعرها الذهبي الطويل ..

وعينيها الزرقاوين .. تغطيهما رموش طويلة ..

هذه الفتنة الطاغية .. والحيوية المتدفقة .. جعلته يفقد صوابه ..

ولم يتمالك نفسه .. فعاود النظر إليها من ركن عينه ..

لقد استولت على قلبه .. وسيطرت على كيانه .. كان صوتها إذا تحدثت موسيقى تسحر أذنيه .. فتتغلغل في أعماقه .. وإذا مدت أصابعها الرشيقة إلى خصلات من سلاسل شعرها الذهبي ترفعها إلى الخلف بعيداً عن عينيها .. تابعتها عيناه بإعجاب شديد ..

وهكذا .. جلس يراقب لغة جسدها وهي تتحدث .. وحركات يديها ورنين ضحكاتها وعذوبة صوتها ..

لقد أخذ بها تماماً .. وأخذ بجمالها الذي كان يتألق في أنوثة وحيوية .. وكانت تعرف طول الوقت أنه يراقبها .. وكل ملامحه تشي بإعجابه الشديد بها ..

وعندما نظرت إليه .. لم يحول عينيه عن وجهها ..

ولم تشعرها نظراته بالإحراج أو الإرتباك ..

بل كانت سعيدة بما يحدث له .. وبما أدركت أنه يجيش في صدره ..

وتوجهت إليه بالحديث .. قالت :

– حضرتك مهندس إذن يا سيد وليد ..

– نعم .. إنني مهندس ديكور ..

– والآن ماذا أقول عنك يا دكتورة علياء .. أيكون زوجك مهندس ديكور .. وتتركينني أبحث عن مهندس ديكور لتجديد الفيلا ؟! ..

فتلعثمت علياء .. ثم قالت :

– أبداً .. أبداً يا ليلى .. إنني أعلم أنك في عجلة من أمرك .. والمهندس وليد مشغول جداً هذه الأيام .. هذا كل ما في الأمر ..

فتوجهت ليلى إلى وليد بالحديث .. وهي على يقين بأن الحديث ستكون نتيجته في صالحها !!.. قالت :

– ولكني موقنة بأن المهندس وليد سوف يدبر الوقت الكافي لعميلته الجديدة .. ولن يخذلني ..

إبتسم وليد .. وقال في نفسه " إنه من السخف أن يقاوم الإنسان

إرادة إمرأة جميلة .. لو أنها كانت دميمة الوجه لوجدت الألوف لا يحفلون بإرادتها .. ولا يسارعون إلى تلبية رغباتها .. أما والحال هكذا .. ومع هذا الجمال الفاتن .. فأهلاً .. وسهلاً .."

وركز نظراته على عينيها .. متأملاً وجهها الجميل .. ولا زال مبتسماً .. قال :

– كلا .. فأنا تحت أمرك .. وسوف أدبر الوقت الكافي واللازم لإجراء التجديدات المناسبة لذوقك ..

– أشكرك يا سيد وليد ..

ثم نظرت إلى علياء وكأن عينيها تشيان بفرحة الإنتصار .. قالت .. وهي تضحك من الأعماق :

– ألم أقل لك يا دكتورة علياء .. إن السيد وليد لن يخذلني ؟! ..

قالت علياء في استسلام ..

– على بركة الله ..

ثم قالت في نفسها " لم يفاجئني ذلك .. فما توقعت غير ذلك .."

ثم نظرت إلى زوجها .. وأردفت :

- تحدثا إذن في الأمر .. بينما أحضر لكما الشاي .. أم تراك إكتفيت بالقهوة يا وليد ؟! ..

قال وليد :

– أشكرك يا علياء .. لقد إكتفيت بالقهوة ..

الفصل الرابع

كانت لمسات المهندس وليد على الفيلا توحي بخبرة طويلة في التصميم و أعمال الديكور.. وجعل منها تحفة فنية .. وقد إستغرق تجديد الفيلا شهراً كاملاً ..

ولكن على قدر سعادة ليلى بالمشهد الأخير للفيلا .. كانت علياء غير سعيدة بما وصل إليه زوجها من تبسط في علاقته بليلى ..

رن جرس الباب الخارجي لفيلا ليلى .. نظرت في الساعة المعلقة على الحائط .. وإبتسمت ..

إنه وليد .. لقد حضر في موعده المعتاد .. هل يا ترى .. يحافظ وليد على كل مواعيده .. بهذه الصورة ..

فتحت الباب .. دلف بسرعة .. وكأنه يخشى من أن يشاهده أحد .. فتكون المشكلة كبيرة مع زوجته ..

أغلق الباب خلفه ..

كانت تنتظره في ثياب مكشوفة .. شفافة .. مكشوفة الزراعين .. قصيرة .. تكشف عن الكثير ..

رأته .. مشرق الوجه .. مبتسم العينين .. تغمره السعادة ..

واستغرق عناق العينين عدة دقائق .. قالا فيها الكثير .. دون أن يقولا شيئاً .. بالشفاة ..

و بمجرد أن رأته .. أضاء وجهها فرحاً .. وأشرقت على شفتيها

الرقيقتين إبتسامة عريضة ..

فصافحتها عيناه بشوق .. قبل أن تصافحها يده بحرارة .. وقال لها من الكلمات المتشوقة .. بعينيه .. ما لم تقله شفتاه .. الشغوفتين ..

وضحكت وهي تستقبله .. ضحكة صافية من الأعماق ..

وبادرته بالترحيب .. قائلة :

- يا سلام يا وليد .. في ميعادك تمام ..

– ماذا أفعل معك يا ليلى .. إنني حتى لو فكرت في أن أتأخر .. فلن أستطيع .. فما أشقاني .. في بعدي عنكِ .. وما أسعدني في جوارك .. لقد أدمنتُ بيتك ..

فضحكت ليلى .. وقالت :

– أدمنتَ بيتي فقط ؟! ..

وكان قد جلس في غرفة الصالون .. وإتخذت ليلى مكانها إلى جواره .. فقال ضاحكا :

- كما أدمنت الحديث والتواصل معك .. لقد أدمنتك ..

وواصلت ليلى إستثارته ..

- بس؟! ..

- وشقاوتك .. ومشاغبتك ..

- دعني أحضر لك القهوة .. ثم أخبرني .. ماذا أدمنت أيضاً ..

وراحا يستغرقان في ضحك عميق طويل ..

كانت تسأل نفسها .. لماذا تشعر بالسعادة مع هذا الرجل ؟!

وكان يعطيها كل شيء .. قبل أن تطلب .. بل بدون أن تطلب .. ولا يريد منها شيئاً ..

لأنها كانت تنسيه في دقيقة واحدة .. كل مشاكله .. وكل ألم السنين .. وكانت تحس بكل ما يحس به .. دون أن يكون في حاجة إلى أن يقول شيئاً .. رغم أن تعارفهما .. لم يكن قد مضى عليه إلا أسابيع قليلة .. فهي .. إلى جانب جمالها .. كان لها من الذكاء ما يثير الإعجاب .. قال لها والسعادة تغمره ..

– دعيني أصحبك في المطبخ .. وأنت تعدين القهوة .. فلا أريد أن أجلس وحدي بعيداً عنك .. ما دمت معك في بيتك ..

– تعالى معي .. فأنت تعلم أن صحبتك تسعدني ..

– وأنتِ أيضا .. أود أن اقضي معك أطول وقت ممكن .. أشعر معك أنني أمام فينوس .. ذات الجمال الرائع .. وأتحدث مع إنسانة مثقفة واسعة الإطلاع .. متفتحة .. على قدر كبير من الذكاء ..

- ولكن لماذا أنا .. إن علياء جميلة .. ذكية .. إجتماعية .. في الحقيقة .. لا ينقصها شيء !

قال وهو يتجنب الحديث عن جمال علياء ..

– لا أخفي عليك أن علياء بدأت تُلمّح لتواصلي معك .. وزيارتي لك في بيتك ..

– وبما ذا تبرر لها زيارتك لي ؟!

– إنها تعتقد أن أعمال الصيانة لم تنتهِ بعد ..

– فماذا نفعل بعد أن تعلم أن التجديدات كلها قد تمت .. ويزول مبرر زيارتك لي .. لا تقل أنك سوف تتوقف عن زيارتي يا وليد ..

– وهل أستطيع ذلك .. إن وجودك معي أصبح جزءً هاماً من حياتي اليومية ..

– إن الأمر يزداد تعقيداً يا وليد .. يوماً بعد يوم ..

– عيناك يا ليلى .. لا قِبَل لي بمقاومتها .. إنها أنتِ من تجعل الأمر يزداد تعقيداً يوماً بعد يوم ..

– إسمع يا وليد .. سوف أتوقف عن صنع القهوة .. إنني أرغب في إعداد الطعام لتناول العشاء معك .. ما رأيك .. أخر القهوة لما بعد العشاء إذن ..

– تسأليني عن رأيي .. أكيد سوف يكون أحلى عشاء ..

وفي غرفة الطعام .. كان ضوء الشموع التي أضاءتها ليلى يضيء وجهها .. فيبرز جمال تقاطيعه .. ورقة ملامحه ..

كان وجهها ينبض بالحياة والصحة والشباب ..

وصوتها ينساب رناناً .. بالبهجة .. وهي تتبادل الحديث معه ..

وجلس على كثب منها يتفرس في وجهها .. ولا يحول عينيه عنها .. حتى أنه يكاد يلتهمها بعينيه ..

وكانت سعيدة بذلك .. إنها أصبحت تعلم أنه يزداد إرتباطاً بها ..

إنها تحب ذلك ..

إنه إضافة مثيرة .. إلى مغامراتها !!

وكانت واثقة من نفسها .. ومن إعجابه بها ..

رغم أنها كانت تعلم أن ذلك يكاد يحطم حياة زوجية ..

ولكنها لم تكن لتهتم بشيء من ذلك .. ولم يكن لديها من التربية العالية أو الأصل الرفيع .. أو المباديء المثالية .. ما يوقفها عند حدها ..

كانت في أسلوب ممارسة حياتها ماكيافيلية .. تبحث عن السعادة ولو على حساب الآخرين ..

فالغاية تبرر الوسيلة ..

إنها تعرف ما تريد .. وتعرف أكثر .. كيف تحصل على ما تريد ..

إنها ذات نزعة عملية أكثر مما ينبغي ..

وإذا ما تعلق الأمر بمصلحتها الشخِصية .. فإنها لا تتردد في الإلتجاء إلى أية وسيلة للدفاع عن مصالحها ..

إن مسئوليتها الأخلاقية معدومة .. فالشر والخير في نظرها لا وجود لهما .. حتى لو إضطرت إلى إرتكاب جريمة ..

كان جمالها يخفي وراءه قسوة عميقة ..

و كانت تقول لنفسها إن المثل الإسباني .. يقول :

" خذ ما تريد .. وادفع الثمن .. هكذا الحياة .."

وأنا أفعل هذا ..

أحاول أن أظفر بكل ما أريد .. دون أن أخشى دفع الثمن ..

و هكذا كانت ليلى .. جذابة وجميلة .. تبدو وادعة .. ولكن في الواقع لها نفسية القاتل .. وطباع الوحوش .. وكانت هي الشر بعينه ..

فكانت تجمع بين الجمال .. والرقة .. والعذوبة .. وبين القسوة والطمع والميل الغريزي إلى الشر ..

شديدة المكر .. قادرة على التدبير والتآمر ..

ولم تلبث أن ألقت بشباكها على وليد ..

ولم تأبه لصداقتها مع د. علياء ..

هذه الإنسانة الرقيقة .. التي قدمت لها الكثير ..

ولم تأبه لغضبها .. بسبب علاقتها الآثمة بزوجها ..

إنها لم تسأله .. هل يحب زوجته .. هل مَلّ منها .. هل يكرهها ..

لم تسأله حتى عن حياته مع زوجته .. هل هو سعيد .. هل هو بائس ..

هل حياته معها شقية ؟ .. مملة ؟ ..

إلا أنها تقول لنفسها .. أشعر أنني أعيش مع هذا الرجل .. أجمل أيام عمري .. وأسعد اللحظات ..

لا شك أنه أيضاً سعيد بعلاقته بي .. هكذا أشعر .. وهكذا إعترف لي ..

لقد إعترف لي أنه عندما ينام .. لا يحلم إلا بي .. وأن أحلامه .. لا يوجد فيها شيء واضح .. سوى وجهي !

لقد فرحتْ كثيراً عندما إقترب منها وليد قائلاً :

– هل تعلمي يا ليلى أن علياء سوف تسافر غداً إلى القاهرة .. ولن تعود قبل المساء .. أي أنها سوف تقضي معظم اليوم بعيداً عن البيت ..

– هل تعني أنه سيكون يوماً رائعاً غداً .. سوف أزورك إذن في بيتك غداً .. موعدنا غداً .. مع السعادة .. في بيتك ..

وكان لها ما أرادت ..

وفعلاً إتجهت ليلى إلى بيت وليد في الغد ..

وبينما كان يعد لها القهوة .. تسللت إلى المعمل .. وإستطاعت أن تحصل على جرعة من ال" كونين " .. في عبوة خبأتها في حقيبة يدها .. كما أخذت معها بعض القفازات .. وبدون سبب معروف لها .. وجدت نفسها تأخذ نظارة القراءة الخاصة بعلياء .. وتضعها في الحقيبة ..

ولم يشعر بها وليد ..

وكان الوقت بالنسبة لوليد يمضي سعيداً ..

وهو ما كان يبدو على ليلى أيضاً ..

وفي موعد الغداء طلبت منه أن يحضر لهما وجبات جاهزة .. فلا زال الوقت طويلاً حتى تأتي علياء من السفر ..

فطلب من المطعم أن يرسل إليه كيلو كباب .. وأرز بالخلطة مع تشكيلة من السلطات ..

كان وليد منقاداً لعواطفه .. التي خرجت عن السيطرة .. فوجد نفسه

يدور في فلك ليلى .. التي كادت أن تملك قلبه وعقله ..

وكانت زياراته لها في بيتها لا تتوقف ..

وفي المساء .. وبعد مغادرة ليلى بيته .. تعمد وليد اللجوء إلى غرفة نومه .. ونام مبكراً .. قبل أن تعود زوجته من القاهرة .. وكأنه يخشى أن تستشعر زوجته ما حدث اليوم ببيتها .. أو تعرف ما أصابه من تغيير في الأيام الأخيرة .. من تراجع في حرارة عواطفه نحوها .. وشروده .. وتشتت أفكاره ..

فلقد أصبح زوجها شارد الذهن .. يكون في البيت بجسمه .. أما روحه فكانت ترفرف فوق مكان مجهول .. حيث تكون ليلى !

نعم ..

كانت علياء تدرك ذلك جيداً ..

لقد مرت بالمطعم بعد عودتها من القاهرة في المساء .. وطلبت وجبات خارجية .. لكي تأخذها معها .. حيث أنها لم تجهز اليوم شيئاً في المطبخ .. وقد يكون وليد في حاجة لوجبة جيدة ..

إلا أن العامل في المطعم أخبرها أن المهندس وليد طلب الغداء !! ..

ولشعورها بالحرج .. فقد إدعت أنها نسيت أن زوجها طلب الغداء .. وإعتذرت ..

ولم تجد في البيت ما تأكله !

ولكم ناقشت الموضوع بينها .. وبين نفسها ..

هل إهتمام وليد بليلى .. هي نزوة .. مثل باقي نزواته .. التي لا تنتهي ؟

وإلى متى تتحمل نزواته السخيفة .. وخياناته .. التي أصبحت من أهم سماته ..

قالت في نفسها ..

إن ما يجري في عروقه ليس دماً ..

إنني إذا عصرت جسده .. لسال منه عصير الخيانة .. ما هو أكثر من الدماء ..

إنني أوقن أنه سوف يعود لي نادماً .. كعادته .. إن عاجلاً .. أو آجلاً ..

فهل أصبر عليه ؟

هل أخبره أنني أعرف كل شيء عن علاقتهما الآثمة ؟ ..

إنني إذا أخبرته أنني أعرف ذلك .. فعليّ أن أنهي كل شيء بيني وبينه ..

وعليّ أن أثور لكرامتي ..

أم أنه عليّ أن أتبع عقلي .. وأحافظ على بيتي .. وحياتي ..

وليكن الصبر هو ملاذي ..

كم هو مؤسف .. بل كم هو مؤلم .. ما يفعله بي وليد .. يا لها من قسوة لا يدرك مداها ..

لماذا تفعل بي ذلك يا وليد ؟

وكان هناك مظاهر كثيرة .. تعرف منها الزوجة أن زوجها بدأ

ينشغل بإمرأة أخرى ..

فكان يهرب بقدر الإمكان من إعطاء هذه الفرصة لزوجته .. حتى لا تكتشف أمره ..

إنه يعتقد أنها غافلة عما يدور حولها ..

إلا أن خطأً فظيعاً قد وقعت فيه ليلى .. عندما نسيت القداحة الذهبية على الطاولة الصغيرة في غرفة الضيوف .. بجوار منفضة السجائر التي كان على وليد ألا ينسى تفريغها من بقايا السجائر التي دخنتها ليلى ..

وكانت ليلة حزينة على قلب علياء .. بعد أن وجدت القداحة .. وبقايا سجائر ليلى في المنفضة ..

إذن فقد جمعتهما الشقة .. والأكل .. والسجائر ..

فما الحائل .. دون أن يفعلا ما يروق لهما ؟! ..

وفي الصباح .. نهض وليد مبكراً .. وكانت زوجته لا تزال تغط في نوم عميق .. بسبب مجافاة النوم لعينيها .. حتى الساعات الأولى من الصباح ..

وربما .. لو حاول وليد أن يفحص وسادتها .. لوجدها مبللة بنهر من الدموع ..!

واكتشف وليد الخطأ الذي وقع فيه ليلة أمس .. وراح يتساءل في نفسه .. يا ترى هل رأت علياء هذه القداحة .. وبقايا السجائر في

المنفضة ؟! ..

أي غباء هذا الذي يجعلنا نقع في هذا الخطأ الفظيع ؟!

وإنهزم ذكاء ليلى أمام هذا السؤال .. عندما واجهها وليد بهذه السقطة في المساء ..

كيف فعلنا ذلك ؟! ..

وفي قلق شديد تساءلت ليلى :

- وهل تأكد لك أن علياء لم تر القداحة وأعقاب السجائر ؟!

وفي ندم وإرتباك .. أجابها :

- لقد صحوت هذا الصباح .. وكانت علياء لا تزال نائمة .. ووجدت القداحة وبقايا سجائرك في المنفضة ..

قالت والخوف بادياً في نظراتها .. بكلمات مرتبكة :

- ربما رأتها .. وتركتها في مكانها عامدة !!

وضع وليد رأسه بين راحتيه .. وأطرق برأسه .. وقال بكلمات مرتعشة

- ربما .. وإذا كان هذا قد حدث .. فلا أعرف كيف يمكنني مواجهتها .. حتى أنني لا أعرف كم ستكون حزينة .. بائسة .. وإلى أي حد سوف تكون ثورتها .. وغضبها !! ..

- ألم ترها طوال اليوم ؟! ..

قال في ألم وتخاذل .. بصوت ضعيف :

- لقد تعمدتُ أن أخرج قبل أن تصحو من نومها .. وقضيت اليوم

بطوله في الخارج .. إلى أن أتيتُ إليكِ ..

- إذا كانت قد رأت كل شيء .. وتركته في مكانه .. وذهبت إلى غرفتها لكي تنام .. وكأن شيئاً لم يكن .. فهي قوية جداً .. إن من تفعل ذلك .. لهي إمرأة حديدية ..

ونهض وليد قائلاً :

- عليّ أن أذهب الآن إلى البيت .. وسوف نعرف كل شيء .. من خلال ردود أفعالها ..

وما أن فتح وليد الباب الخارجي للفيلا .. وخرج .. مغلقاً الباب خلفه .. حتى رأي أحدهم يضغط على زر الجرس ..

كان هناك ضيفاً غير متوقع يرن الجرس ..

و كانت عقارب الساعة تشير إلى الثامنة مساء .. عندما رن الجرس ..

وأقبلت ليلى مسرعة ..

و فتحت الباب ..

ورأت الضيف .. فتملكها الذهول ..

وقفت ولم تستطع أن تقول شيئاً .. مروعة .. مذعورة ..

ومرت الثواني ثقيلة ..

ولاحظ الضيف ذهولها الذي لم تستطع أن تخفيه ..

قال لها في هدوء :

- ماذا يا عزيزتي .. هل أنتظر هكذا كثيراً أمام البيت ؟! .. ألا تقولي

تفضل؟!

قالت ليلى .. بصوت يختلط بحشرجتها .. وجاءت كلماتها متقطعة ..

- تفضل يا سيدي ..

ودلفت إلى الداخل .. ودلف الضيف من خلفها .. وأغلق الباب .. وجال ببصره في أنحاء الفيلا .. وأبدى إعجابه بها .. ثم إستقر على كرسي الصالون .. دون أن تتفوه ليلى بكلمة ..

وجلست .. والذعر يغطي وجهها .. وينعكس على عينيها ..

قال لها الضيف .. في كبرياء .. وتعالي .. ونظرات ثعلب تطل من عينيه

– هل أخذتكِ المفاجأة ؟! .. ألم تكوني تتوقعي أنني سوف أصل إليك ؟

ولم تزل ليلى متوقفة عن الكلام .. وظلت صامتة .. صمت الأموات ..

فتابع الضيف حديثه .. وكأنه ثعلب .. ينقض على فريسته .. بعد أن أرهقتها محاولات الهروب :

– بالمناسبة .. بم تريدينني أن أناديكِ .. هل أناديك ليلى .. أم أناديكِ سمر ؟!

وسكت لحظات .. ثم تابع :

- لقد أخبرتني د. علياء أن إسمك ليلى ..

وفتحت فاها .. وحملقت فيه .. والخوف يغلف جسدها ..

بينما تابع حديثه .. بقوة .. وقسوة .. قال :

– أووو .. إن اليوم مليء بالمفاجآت .. إن علياء هي إبنة أختي .. وهي

عندما أخبرتني أن الفيلا المجاورة لبيتها قد إشترتها آنسة من القاهرة تدعى ليلى مجدي .. علمتُ أنها أنتِ .. أو على الأصح ..

وضعتُ إحتمالاً كبيراً .. أن تكون هي أنتِ ..

سألت والخوف يمزقها .. والرعب يشع من عينيها :

– د علياء .. علياء .. جارتي .. هي إبنة أختك ؟..

– في الحقيقة أن مفاجأتي أن تكوني أنتِ هي المالكة الجديدة للفيلا .. لا تقل كثيراً .. عن أن تكون علياء هي إبنة أختي .. ولكن لو كنا واقعيين أنا وأنتِ .. لما صدمتنا هذه الوقائع ..

– كيف ؟ .. ماذا تعني؟

– إنني من أبناء الفيوم ..

- لم أكن أعلم ذلك ..

- مؤكد .. فلو علمتِ ذلك .. لما فكرتي أن تهاجري إلى الفيوم ..

ومنذ البداية .. كنتُ محامي السيد مجدي ..

ومنذ البداية .. أعرف كل شيء عن إجراءات كفالة أسرة السيد مجدي لكِ ..

بل أنا الذي قمتُ بتنفيذ كل هذه الإجراءات .. بعد أن توفي والدك ..

السيد محمد يوسف على .. لا زلت أذكر إسمه .. وتبعته والدتك .. رحمها الله ..

بعد شهور قلائل .. من وفاته ..

وتذكرت ليلى ما قالته لها علياء .. يوم أن تعارفتا .. حينما قالت لها :

" يا لها من مصادفة جميلة .. فإن خالي صفوت يعمل محامياً كبيراً في القاهرة .. ربما لو تدربتِ على يديه لكنتِ أستاذة في المحاماة ..

وتساءلت ..

– ولماذا قربتني إليك .. وفعلت الكثير من أجلي ؟..

– لم يكن من أجلك أيتها الغبية ..

– لقد كنتَ من أجلي .. تفعل كل ما أريد ..

– من أجل جمالك ؟

- هذا ما أكدته لي تصرفاتك معي ..

– رغم هذا الشيب الذي يكسو رأسي ؟!

– لقد قلت لي مراراً .. أن شبابي وهاج بالعنفوان .. وأنوثتي تنضح جاذبية .. وكلام كثير من هذا القبيل ..

– لأنك غبية .. كنتِ تفهمين الأمر على هذا النحو .. ولكنكِ في واقع الأمر .. كنتِ أنت أداتي في تحقيق ما أريد أنا .. وليس ما تريدي أنتِ ..

– كيف ذلك ؟ .. ولماذا؟ .. وماذا كنت تريد أن تحقق ؟

– كيف ذلك .. فأنتِ تعلمين كيف سارت الأمور كما هو مخطط لها .. فقد ماتت الأسرة .. وتم قيد الوفاة أنها حدثت بسبب الحادث المروري .. وقد كان ذلك سهلاً لي .. بصفتي محامي الأسرة ..

وأما لماذا .. فقد كنتُ أسترد من السيد مجدي أموال أخي .. التوأم ..

سعيد .. إسمه سعيد .. الذي كان شريكه في كل أعماله .. وبعد أن سافر السيد مجدي وأسرته إلى القاهرة .. وكنتِ أنتِ في صحبتهم ..

حدثت خلافات كثيرة بينهما في العمل ..

وسيطر السيد مجدي على الشركة .. بالحيل والخديعة .. وبوفاته إختفى من الوجود .. دون أن يعطي لأخي مستحقاته .. وجعله يدفع ثمن ثقته به .. ثمناً غالياً ..

تخيلي .. لقد أعطاه رأس المال اللازم للشركة دون أية أوراق ثبوتية .. تثبت حقوقه لديه .. ورغم أنني محامي .. لم يستمع لنصيحتي ..

فلطالما نصحته بأن الأصل في المعاملات هو التدوين .. وحفظ الحقوق لا يكون إلا بالمستندات القانونية ..

ودفع الكثير .. ثمن عدم الإستماع إلى نصيحتي ..

فكان عليّ أن أصبر .. وأستغل الشبه الكبير بينك وبين إبنته ليلى .. في الوقت المناسب ..

– ولماذا إقترحت عليّ أن أذهب إلى الإسكندرية بالذات ..

– كنتُ أتوقع أن تذهبي إلى أي مكان بعيداً عن كل الأعين ..

فطلبتُ منكِ أن تذهبي إلى مكان أعرفه .. وتكوني تحت مراقبتي ..

إلا أنكِ إختفيتِ .. وربما حنينك الدفين إلى الفيوم هو الذي دعاكِ لهذا الإختيار ..

– والدكتورة علياء ؟

– ماذا عنها ؟

– ماذا قلت لها ؟ .. وبماذا أخبرتها ؟..

– ماذا يمكنني أن أقول لها ؟ .. ألسنا شركاء فيما حدث؟ ..

ألسنا في مركب واحد ؟ .. إن الضرر الذي قد يصيبك .. لا بد أن يمر بي أولاً ..

إنني لم أستطع أن أقول لها حرفاً واحداً مما حدث .. بل إعتبرتُ أن الخبر لا يعنيني في شيء .. ولم أعلق .. عندما أخبرتني أن المشتري الجديد هو أنتِ ..

– أرجوك يا سيدي .. لقد بدأتُ أهدأ قليلاً .. د عني أحضر لك القهوة .. وأكون قد هدأتُ تماماً .. وأرجو أن تلتمس لي العذر .. فالمفاجأة كانت كبيرة ..

– لا عليك يا .. ليلى .. لا تنزعجي .. فإن الأمور تسير سيراً حسناً .. كما هو مخطط لها ..

وإنشغل الضيف بمشاهدة ديكورات الفيلا .. التي من الواضح أنه أعجب بها .. ريثما تنتهي ليلى من صنع القهوة ..

وكان الضيف هو الأستاذ " صفوت كمال عبد الناصر" ..

وهو كان محامي أسرة السيد " مجدي محمود المليجي " .. منذ كان يقيم في الفيوم ..

– لقد إقترحتُ عليكِ أن تنتقلي للإقامة في محافظة الإسكندرية .. فلماذا

إخترتي محافظة الفيوم ؟.. أم أنه الحنين كما أعتقد ؟

ـ لقد هممتُ فعلاً أن أنتقل إلى الإسكندرية .. إلا أنني وجدتني أفضل الفيوم .. لما علمتُ أنها أكثر هدوءاً .. فتوقعتُ أن تكون أيضاً أكثر أمناً

– على أي حال .. أنتِ هنا آمنة .. فمارسي حياتك بصورة طبيعية .. بلا قلق ولا خوف .. فأنت هنا ليلى مجدي محود المليجي .. ولا أحد يعرف أنك سمر محمد يوسف علي ..

– أرجو أن تكون حياتي هنا طبيعية كما قلت .. تخلو من الترقب والقلق ..

– الفيلا رائعة .. وأنتِ تستحقينها ..

– ولك عندي أيضاً ما تستحقه ..

– نصف ثروتك ..

– أعلم هذا ..

- ربما نسيتِ !!

وكان صوته مليئاً بالسخرية والتهكم .. إلى درجة أغاظت ليلى .. إلا أنها تعرف جيداً كيف تكتم غيظها .. كما إعتادت أن تزن كل كلمة قبل أن تنفرج عنها شفتاها ..

قالت في ثبات .. وبنبرة هادئة :

– وهل أنسى أنك صاحب فكرة أن أكون أنا ليلى .. بدلاً من سمر.. بعد أن مات الجميع في الحادث ..

وارتسمت على شفتيه إبتسامة هازئة .. واسترسل قائلاً في هدوء ..

– تقصدين بعد أن قتلتِ الجميع .. وبدا أنه حادث مروري ..

– وإدعيت أن سمر هي من ماتت .. لأنني لو ظللتُ سمر .. لما إستحققتُ أية قدر من الميراث .. ولما إستردتَ أنتَ أموال أخوك المنهوبة ..

– وإستخرجتُ لكِ كافة الأوراق والمستندات اللازمة لتحصلي على كل الأموال .. لكي تهربي بها إلى الفيوم .. بعيداً عن كل الأعين .. بما فيها عيوني .. وتهربي من تنفيذ الإتفاق الذي تم بيننا .. والذي يقضي بتسليمي نصف ما يؤول إليكِ من ميراث ..

وارتسمت على شفتيه إبتسامة رهيبة وقاسية .. حتى لكأن صاحبها شيطان مريد .. وكانت عيناه تتألقان ببريق الغضب .. وقد تباعد فكاه كأنه حيوان يهم بالوثوب على فريسته ..

وإتسعت عيناه .. وكاد الشرر أن يتطاير منهما .. وقال وهو يشير إليها بأصبعه محذراً :

- هل هكذا تبدئي حياتك الجديدة .. بحرمان أخي من حقوقه ؟ .. وهل عليه أن يُحرَمْ منها مرتين ؟

فران عليها صمت عميق .. لا تلوي على شيء .. وكأنها لا تعرف بم ترد عليه .. وبم تجيب .. وكيف تواجه هذا التهكم .. وتلك السخرية والإستفزازات ..

سيطرت على مشاعرها مرة أخرى .. وكظمت غيظها .. قالت :

– لن يحدث ..

– متى إذن ؟! .. متى أحصل على حقوقي التي لديك ؟!

– غداً ..

وجعل ينظر إليها في شك و ريبة ..

وسألها :

– أين .. ومتى ؟

– في نفس الموعد .. ونفس المكان الذي إعتدنا أن نتقابل فيه .. بعيداً عن العيون ..

– عند سفح الهرم الأكبر .. الخامسة مساءً..

– لن أتأخر ..

قال .. غير متأكد من وعدها .. فجاءت كلماته تؤكد شكوكه :

- أبذل قصارى جهدي .. في تصديق كلماتك ووعودك !

وصمت قليلا .. ثم أردف بلهجة قوية محذرة متوعدة :

– من مصلحتك ألا تتأخري ..

ورغم قوتها .. وقوة أعصابها .. ورغم أنها تجاهد أن تبدو متماسكة .. وتستجمع كل شجاعتها لمواجهة هذا الإنسان المتوحش .. إلا أنه حدق فيها فرآها ترتعش قليلاً .. كما أن وجناتها قد فقدت بعضاً من لونها ..

وقالت في إستسلام :

– صدقني .. لن أتأخر ..

– نقداً يا ليلى ..

وغمرتها موجة من الخوف .. والفزع .. مع استمراره في إرسال السهام النارية .. من عينيه ..

قالت في صوت ضعيف .. بكلمات مرتعشة :

– أعلم شروط الإتفاق يا سيدي ..

– بالمناسبة .. ماذا كان يفعل المهندس وليد هنا ؟

وتجهم وجهها .. وسألت في بلاهة .. ودهشة :

– هل رأيته ؟

– ورآني .. بل تصافحنا .. فور خروجه .. بينما كان يغلق الباب ..

قالت مدعية براءة الأطفال ..

- إنه هو من قام بتجديد الديكورات للفيلا ..

فعنّفها .. محذراً .. وبلهجة آمرة :

– دعيه في شأنه يا سمر .. أم أن مجدي يأخذ أموال خالها ..

وتأخذين أنت زوجها ؟ .. أحذرك يا سمر .. دعي الرجل في شأنه ..

قالت متجاهلة تحذيره ..

– هل تعتقد أنه سوف يخبر زوجته أنك قمت بزيارتي ؟

– لا أعتقد ذلك .. بل سيتجاهل أنه رآني .. لأنه لن يضع نفسه في مأزق كبير كهذا .. بل سوف يتمنى أن أنسى الموضوع .. ولا أخبرها أنني رأيته يخرج من بيتك ..

وأحست أن هذا الأمر قد يكون له تداعيات سيئة .. ويترتب عليه شيئاً خطيراً ..

قالت في أسى :

– كل يوم أواجه مأزقاً .. جديداً ..

قال .. وقد ألقى عليها اللوم :

- لا تصنعي بنفسك المأذق .. ثم تتبرمي .. وتلومين الآخرين ..

وبعد خروج الأستاذ صفوت .. كانت ليلى تلعن المفاجآت ..

فكيف يحدث أن تكون علياء إبنة أخته .. و تقيم في الفيلا المجاورة لها .. من بين كل الفلل في الفيوم ..

ولماذا يختار اللحظة التي خرج فيها وليد .. هذا الغبي هو الأخر .. لكي يقابله .. ويصافحه ..

لماذا تتشابك الأمور وتتعقد ..

ولكن تفكيرها هدأ .. بعد أن خطر في بالها أن وليد لن يجرؤ أن يقول لزوجته شيئاً عن هذا اللقاء الذي حدث بينه وبين صفوت ..

وتساءلت بينها وبين نفسها ..

هل يجرؤ أن يقول لها أين إختفت نظارتها .. وأنني ربما أخذت جرعة

الكونين .. إذا إكتشفت علياء نقص كمية الكونين بالعبوة .. وسألته عن إختفائها ..؟

أم هل يعترف لها أنه دعاني إلى بيتها في غيابها .. ؟

وفي محاولة لأن تهديء من روعها .. قالت لنفسها

" لن تتعقد الأمور بعد ذلك .. "

وفي صباح اليوم التالي كانت ليلى تقرأ في الجريدة خبر وفاة المحامي الكبير الأستاذ صفوت كمال عبد الناصر ..

لقد مات في سريره .. ولا شبهة جنائية ..

فابتسمت .. وقالت في نفسها :

أشكرك يا دكتورة علياء .. أشكرك مرتين ..

المرة الأولى من أجل إخباره بأنني هي من إشترت الفيلا .. مما جعله يأتي إلى هنا بحثاً عني .. وإلا لما قابلته أبداً ..

والمرة الثانية .. أشكرك من أجل مساعدتي بأبحاثك الرائعة ..

والآن .. لم يعد يعرفني أحد ..

ولن يقول أحد لي .. يا غبية !!

الفصل الخامس

كانت د . علياء مشغولة في صنع فنجان قهوة .. عندما رن جرس الإنتركم ..

وبعد أن رنت ليلى الجرس .. إنتظرت دقيقة .. حتى جاءها صوت د. علياء :

– من بالباب ؟

– صديقة لم تركِ منذ فترة طويلة ..

– هيا إصعدي يا ليلى .. إنني لم أركِ منذ فترة طويلة حقاً ..

وفُتِح الباب كهربائياً ..

وصعدت ليلى الدرجات .. ووجدت د. علياء في إنتظارها على درجات الدور الثاني .. حيث حجرة الصالون ..

ورحبت بليلى .. التي إحتضنتها .. وأشبعتها تقبيلاً ..

– أهلاً يا ليلى .. لقد أوحشتني كثيراً..

– أحقاً ؟! .. لو كنت أوحشتك لما توقفتِ عن زيارتي كل هذه المدة ..

– صدقيني يا ليلى .. إنكِ تعلمين إنشغالي بالأبحاث .. والدراسات العليا ..

وجلستا في غرفة الصالون .. وأردفت علياء ..

- لقد صنعت لنفسي للتو فنجان قهوة .. فهل أصنع لك فنجاناً .. أم تفضلين قدحاً من الشاي؟

- في الحقيقة أنني أفضل القهوة ..

– أعلم أنك تحبين القهوة التركي .. دقائق وتكون قهوتك جاهزة .. البيت بيتك ..

ولاحظت ليلى أن المهندس وليد ليس موجوداً .. إلا أنها تعمدت ألا تسأل عنه ..

وأحضرت علياء القهوة .. وجلست إلى الجوار من ضيفتها .. متسائلة:

– أين تذهبين في أوقات فراغك .. التي أعتقد أنها طويلة جداً ؟

– إن الأماكن التي يمكن زيارتها لديكم في الفيوم محدودة جداً ..

– مؤكد لا يمكن مقارنتها بالقاهرة ..

– أما أنت فمن المؤكد أن دراستك تستوعب وقتك كله.. وربما حتى لا يكفي ..

– لقد إعتدتُ ذلك ..إلا أنه جاء ما يشغلني أكثر .. وسوف يستوعب من وقتي أسبوعاً كاملاً ..

– هل هي زيارة إلى مكان بعيد ..

– كلا .. إنها المدرسة المجاورة .. لقد إعتدنا إقامة حفلاً بسيطاً كل عام .. بمناسبة تكريم الطلبة المتفوقين .. والإستعداد للعام الجديد ..

.. بحضور بعض أولياء الأمور .. وبعض الطلبة والمدرسين .. ومديرة المدرسة السابقة ..

– إنه تقليد جميل .. إنني أحب ذلك ..

– نعم .. كما أن هذا يربط بين المدرسة والمدرسين .. من جانب .. وبين الطلبة وأولياء الأمور .. بعلاقات طيبة .. يسهل من خلالها حل أية مشاكل طوال العام الدراسي .. وما أكثرها ..

– وما هو برنامج الحفل .. من المؤكد أن هناك برنامج محدد ..

– نعم .. نعم .. أكيد هناك برنامج .. وهو في الغالب برنامج الأعوام السابقة .. مع بعض التغييرات .. والإضافات .. حسب الأحوال .. فقد يتم إضافة فقرات كاملة .. كما يمكن إستبدال فقرات بفقرات أخرى ..

– وطبعاً يتم ذلك في المدرسة ..

– هذا صحيح .. فإن المدرسة واسعة .. وبها الكثير من الأماكن التي تصلح لذلك .. وأيضا هناك الفناء .. حيث يجري الأطفال ويمرحون

– وماذا عن التمويل ؟.. أعتقد أن حفلاً مثل هذا يحتاج إلى مبلغ كبير

– إنه فعلاً يحتاج مبلغاً كبيراً .. إلى حدٍ ما .. ولو أننا نجمعه من كلٍ حسب إمكانياته .. فلا نشعر بكبر حجمه .. وخاصة بعد أن يستمتع الجميع ويسعدون .. فلا يكون كبر المبلغ مشكلة ..

– وهل يمكن لضيفٍ جديد .. أن يستمتع معكم .. ويشارككم هذه السعادة .. في هذا اليوم .. الذي من المؤكد أنه سيكون يوماً جميلاً .. ؟

– لا شك أن الجميع سوف يرحبون بحضورك يا ليلى .. خاصة أنني سوف أطلب منهم ذلك .. بإعتبارك صديقتي ..

– ولي طلب أخر ..

– إطلبي ..

– أرجو أن يوافقوا على أن أسدد أنا فاتورة الحفل .. بالكامل ..

– ولكن لماذا ؟ .. إنهم سوف يرحبون بكِ ضيفة .. وليس على أساس أنك متبرعة ..

– لم أقل أنني سوف أتبرع للحفل لكي يرحبوا بي ..

– إنهم يدفعون لأنهم يرغبون في أن يشاركوا جميعاً .. إن في هذا سعادتهم ..

– فلماذا إذن لا ترغبين في أن أشعر أنا أيضا بهذه السعادة .. في أن أشارك ؟

– هناك فرق كبير بين أن تشاركي .. وبين أن تدفعي قيمة الفاتورة بالكامل ..

– أرجوك يا علياء ..

– على أي حال .. سوف أخبرهم برغبتك هذه ..

– بل عديني أنكِ سوف تجعلينهم يوافقون ..

– إنني فقط أقوم بإعداد البرنامج .. وتنظيم الحفل ..

– لا تطيلي يا علياء في هذا الأمر .. أخبريهم .. وسوف نبدأ غداً في شراء مستلزمات الحفل ..

الفصل السادس

كانت د. علياء قد فرغت من إعداد القائمة بأسماء من سوف تدعوهم لحضور الحفل.. لتكريم الطلبة والطالبات الذين تخرجوا ..

وكان على رأس هذه القائمة السيدة أسماء .. المديرة السابقة للمدرسة .. حيث كانت محل تقدير الجميع وإحترامهم ..

و رغم أنها أحيلت إلى التقاعد .. إلا أنها كان لها تواجد واضح في الإجتماعيات .

كان الشكل العام للسيدة أسماء يوحي بالكبرياء .. والإحترام .. وكانت قصيرة القامة .. نحيفة .. تشي عيناها بالطيبة ودماثة الخلق .. تتحلى بالهدوء .. والثبات الإنفعالي ..

وكانت القائمة تشمل نحو عشرين من أولياء الأمور .. الذين يهتمون بهذا الإحتفال سنوياً ..

وأيضا كان هناك بعض الذين يتبرعون لإقامة الحفل في صورة جيدة .. ولو أن ليلى كانت قد تم لها الموافقة على دفع فاتورة الإحتفال .. على أن تقول كلمة للتعريف بنفسها أمام الحضور .. في إفتتاح الحفل .. وتوجهت د علياء إلى بيت السيدة أسماء .. لكي ترتب معها موعد حضور الحفل ..

كانت الأستاذة تقيم وحدها في البيت .. فقد توفي زوجها منذ عدة سنوات .. ولم يعد أحد يؤنس وحدتها .. ويملأ البيت عليها .. ويخفف عنها

متاعب الشيخوخة ..

كانت تقيم في الطابق الأول .. في عمارة من ثلاثة طوابق ..

أما الطابق الثاني فكان يشغله معرض لبيع النجف والتحف والهدايا ..

و كان السيد هاني صاحب المعرض .. يحتفظ بعلاقات جوار طيبة مع الأستاذة .. ويوصي بها خيراً العامل الذي يعمل لديه بالمعرض .. محمد كشري .. الذي كان بدوره يعتبرها أمه .. ويقدم لها المساعدة .. ما أمكنه ذلك ..

كانت السيدة أسماء مريضة .. تشكو من نزلة برد .. ولو أن فصل الخريف لم يكن قد أسلم الراية للشتاء بعد .. إلا أن جسدها النحيل .. وسنها المتقدم .. يجعلها تلازم الفراش من أقل موجة برد .. خاصة في ساعة ما قبل الفجر ..

وعندما همت د. علياء برن الجرس .. جاء إلى أذنيها صراخ وزعيق من شاب منفعل .. يصيح غاضباً .. إلى أحدهم .. في الداخل ..

فكرت علياء لمدة ثواني في الإنصراف .. على أن تعود لاحقاً .. إلا أنها إفترضت أن تكون السيدة أسماء في حاجة إلى مساعدة أحدهم لها .. فرنت الجرس .. وإنتظرت دقائق .. حتى فُتِح الباب .. وأطل من خلفه شاب يبدو عليه الغضب .. والإنفعال .. وكل ملامحه تشي بالحير والجزع ..

سأل الشاب .. بنفس اللهجة الغاضبة :

- من؟

وتراجعت د. علياء خطوة إلى الوراء .. وكأنه قد أصابها الفزع ..

قالت في صوت مرتجف :

- أنا الدكتورة علياء ..

– ومن تريدين يا دكتورة ؟

- هل الأستاذة موجودة ؟

– ومن تكون الأستاذة ؟

– السيدة أسماء .. هل هي موجودة ؟ ..

– وأين سوف تذهب .. إنها بالداخل .. لعن الله كل النساء .. لماذا لا تموتون جميعاً .. حتى نرتاح منكم ..

قال ذلك غاضباً .. ومضى بعيداً .. وبدلاً من أن تدخل .. فقد راحت علياء تتابعه بعينيها الخائفتين حتي توارى بين البيوت .. وهي تخشى عودته .. ثم دخلت ولا زال الخوف يتملكها .. وأغلقت الباب بالمفتاح ..

وأخذت تنادي بصوت يرتجف :

– أستاذة .. يا أستاذة أسماء ..

وجاءها صوت باكي ضعيف .. حيث كانت السيدة العجوز تبكي سلوك إبن أخيها ..

– تفضلي يا دكتورة علياء ..

ودخلت الدكتورة علياء إلى غرفة النوم .. حيث كانت السيدة أسماء ترقد على سريرها .. وقد شحب وجهها .. فنهضت على الفور .. وإضطجعت .. وأسندت ظهرها على بعض الوسائد .. وجففت الدموع التي سالت من عينيها .. بينما أخذت ترحب بالدكتورة علياء ..

– تفضلي يا دكتورة .. أدخلي .. أنا آسفة .. إنه مراد .. إبن أخي ..

دلفت علياء إلى داخل الغرفة .. ولا زالت صامته .. لا تعرف ماذا عليها أن تقول .. فهي لا تريد أن تقول شيئاً عن الشاب الغاضب .. حتى لا يكون ذلك تدخلاً غير مقبول في حياتها الشخصية ..

وجلست على كرسي بجوار السرير ..

نظرت في شفقة إلى السيدة أسماء .. وقالت في حنان :

– كيف حالك يا أستاذة ؟! ..

– أحمد الله يا دكتورة .. إنها نزلة برد بسيطة .. يومين أو ثلاثة وتنتهي

– وماذا تناولتِ من أدوية ؟! ..

– في الحقيقة أنني لم أتناول أية أدوية .. فقد هاجمني البرد اليوم فقط .. ولم أخرج من البيت .. ولم أشترِ الأدوية بعد ..

– إذن فسوف أشتري أنا لك الدواء اللازم وأحضره حالاً .. ولن أتأخر

قالت هذا .. ونهضت وإتجهت فوراً إلى الباب .. قائلة :

- سوف آخذ المفتاح معي .. وأغلق الباب .. حتى لا أجعلك تنهضي وتفتحي الباب من أجلي ..

ونادت عليها أسماء راجية ألا تذهب .. إلا أنها كانت قد إختفت .. خلف الباب بعد أن أغلقته ..

وإن هي إلا دقائق معدودة .. حتى عادت علياء بالأدوية اللازمة والمضاد الحيوي ..

وأحضرت الماء في كوب جلبته من المطبخ .. وجلست على حافة السرير إلى جوارها .. وأسندت السيدة العجوز إلى صدرها .. في رفق .. وأعطتها الجرعة المناسبة من الدواء .. وأول كبسولة من المضاد الحيوي ..

وقالت لها :

– بسيطة إن شاء الله يا أستاذة .. يومين فقط وتعودي لنا معافاة قوية ..

- أشكرك يا إبنتي .. لم أكن أرغب في أن أسبب لك كل هذا التعب.. وقد جئتِ في الوقت المناسب ..

– لا تشكريني .. فنحن كلنا أبنائك ..

وأشارت السيدة أسماء إلى الخارج .. وكانت تقصد بذلك الإشارة إلى إبن أخيها .. لأنها قالت :

– إنه مراد إبن أخي .. لقد كان شاباً وديعاً .. لست أدري كيف أصبح بهذه العصبية .. وكيف إمتلأ قلبه غضباً .. وكيف سيطر عليه الشر هكذا ..

إنني أغضب منه أحياناً .. ولكن سرعان ما ألتمس له الأعذار ..

– كيف تلتمسين له الأعذار .. بعد هذا الغضب الذي يشع من عينيه شرراً ..

- لم يحدث له ذلك إلا بعد الزواج .. وغرق في ضائقة مالية .. وقد أصبح له أولاد .. وأسرة .. تحتاج إلى مصروفات .. ونفقة .. لا يقدر على تدبيرها معظم الشباب .. إنني لا أشفق عليه وحده .. بل أشفق على كل الشباب مثله ..

– ألا يعمل ؟

– كان .. كان يعمل ..

– ثم ؟! ..

– لقد فصلوه في العمل .. وفصلوا الكثيرين من الشباب أمثاله .. فماذا يفعل .. وكيف يعيل أسرته .. ثم نوجه لهم اللوم .. والإتهامات ..

– وماذا يفعل إذن .. وكيف يدبر أموره ..

– إنني كثيراً ما أعطيه بعض الأموال .. ولكن النفقات أكثر ..

– لقد كان في أشد حالات الغضب .. وقد أفزعني ..

– إنه أصبح يستعجل موتي .. فهو الوريث الوحيد لي ..

– إن الظروف تضيق شيئاً فشيئاً .. حتى كادت تطبق على رقاب الشباب

– لهم الله ..

- أرى أنكِ تشفقين على مراد إبن أخيك مهما حدث .. هل هذا يعكس مدى حبك لأخيك ؟

- هذا من جهة .. أما من الجهة الأخرى .. فهو يعكس إشفاقي على كل الشباب الذين وقعوا ضحية طموحاتهم بأن يكون لهم مصدر رزق خاص بهم .. يواجهون به هذا الغلاء الذي يسحقهم .. ويحطم آمالهم .. فلجأوا إلى الإقتراض من البنوك .. وفتحوا مشروعات صغيرة ..

- وهل فعل مراد ذلك ؟

- بلى .. وسرعان ما فشل مشروعه الصغير .. وخسر أمواله .. فماذا كانت النتيجة ؟

- إذن لقد وقع في حفرة لا نجاة منها !.. وأطبقت عليه التعاسة أكثر وأكثر ..

- هذا هو ما حدث .. وقد بدأ البنك يطارده .. بالقضايا .. والتهديد بالسجن أو السداد ..

- لا شك أن هذا مرعب !

- وكلما ضاق به الحال .. وعجز عن السداد .. إزدادت عصبيته .. ولجأ إليّ لمساعدته ..

- وربما فكر في النهاية في الخلاص منك !

- إنه يستعجل موتي .. على الأقل ..

- يا ألله !

- هكذا حال الشباب .. ربنا يستر !

– لقد أنساني موضوع إبنُ أخيك .. ما جئت من أجله .. فقد إقترب موعد

الحفل السنوي .. إنه يوم السبت القادم ..

– إن الأيام تمضي مسرعة .. حسناً .. لا تنسي أن تأخذي المبلغ الذي سوف أتبرع به هذا العام .. قبل أن تذهبي ..

– كلا يا أستاذة .. فلن يدفع هذا العام أحد ..

– كيف ذلك ..

– إنها سيدة واحدة .. من تكفلت بسداد فاتورة إقامة الحفل كلها ..

– إنه مبلغ كبير .. لماذا إذن ؟

– هي من طلب ذلك .. وبإصرار ..

– من هي هذه السيدة الفاضلة .. وهل أعرفها ؟

– لا أعتقد أنك تعرفينها يا أستاذة .. إنها سيدة من القاهرة ..

– وكيف تم التعارف بينكما .. يبدو أن الموضوع وراءه قصة ..

– هو كذلك .. فهذه السيدة هي التي إشترت الفيلا الملاصقة للمدرسة .. مدرسة الزهور .. التي كنتِ مديرتها قبل التقاعد ..

– فيلا السيد مجدي محمود المليجي ؟! ..

– ألا زلتِ تذكرين السيد مجدي ؟! .. وهل نسيتِ أنه باعها قبل سفره إلى السيدة دلال عبد العزيز ..

– نعم .. نعم .. ولكن من تكون السيدة التي إشترتها مؤخراً ..

– إن إسمها السيدة " ليلى مجدي " .. ولو أن عمرها لا يتعدي الثانية والعشرين .. إلى الرابعة والعشرين ..

- ليلى مجدي ؟! .. ليلى مجدي ماذا ؟! .. لقد كان للسيد مجدي بنتاً بهذا الإسم .. إن إسمها ليلى .. وهي من المفترض أن تكون في هذا العمر ..

– في الحقيقة لا أعرف ..

– صفيها لي .. هل عيناها سوداوان .. وشعرها أسود لامع .. ؟!

هل هي طويلة .. بيضاء البشرة ؟! .. إنني لا زلت أذكرها .. بل أتخيلها تماماً كما كانت .. ولطالما أحببتها .. ولكم كان حزني عميقاً .. عندما حدثت لها هذه الحادثة .. التي خرجت منها مشوهة الوجه .. إلا أنني أتذكر طمأنة الدكتور المعالج لوجهها .. حين قال أن وجهها سوف يتحسن .. مع الأيام .. إلا أن بعض آثار التشوه سوف تبقي ..

– ولكن مهلاً يا أستاذة .. ربما ليست هي من تعنين بهذا الوصف ..

– كيف ؟! ..

– نعم .. أعتقد أنها ليست هي .. إن ليلى صحيح هي طويلة .. بيضاء البشرة .. ولكن شعرها أصفر ناعم لامع .. هو أشبه في الحقيقة بسلاسل من الذهب .. زرقاء العينين .. ووجهها ينير كالبدر .. ولا تشوبه أية تشوهات ..

صاحت أسماء .. وقد إستثارت هذه الأوصاف ذاكرتها .. وقالت في نبرة توحي بالتأكيد لما تقول :

– إن هذه الفتاة هي سمر .. أجل سمر محمد يوسف علي .. إنني على يقين مما أقول .. لقد كانت مقيدة عندي بالمدرسة .. وتوفي أبوها

.. ثم .. وبعد شهور قلائل .. توفيت أمها .. وكانت كثيرة الشبه بالطفلة ليلى .. وكانت أسرة السيد مجدي تتعاطف معها بسبب هذا التشابه الكبير وتكثر من العطف عليها .. إلى أن قرروا كفالتها كلية .. وقد شاركت كثيراً في إنهاء إجراءات إنتقالها للعيش في بيت ليلى .. ثم سافرت الأسرة إلى القاهرة .. إثر حادث مروع .. فقدت الأسرة بسببه إبنهم أحمد .. وكان لا يتعدى الخامسة من العمر .. وأصيبت ليلى في وجهها .. ونتج عن الحادث تشوة فظيع .. قال الدكتور وقتها أن هذا التشوه لن يختفي كلية .. بل سوف يظل أثره مدي الحياة ..

ثم صمتت أسماء برهة .. تلتقط أنفاسها .. حيث شعرت بداخلها أن شيئاً غير جيد يحدث ..

ثم أردفت :

– هذه هي سمر يا دكتورة علياء .. إن إسمها سمر .. وليس ليلى ..

– ربما كانت الأمور مختلطة لديك يا أستاذة .. إنك تتحدثين عن أحداث مر عليها على الأقل من عشرين إلى إثنين وعشرين عاماً ..

– حتى لو مر مائة عام على هذه الأحداث .. إنها محفورة في ذاكرتي .. ولن أنساها .. هناك شيئ سيء في الأمر .. هكذا أشعر بداخلي ..

– لقد رأيت بطاقتها الشخصية يا أستاذة ..

فقالت الأستاذة بيقين :

– إنه إنتحال شخصية إذن .. ولا بد أن أرى بنفسي هذه الفتاة .. لكي

أواجهها ..

– سوف ترينها يوم السبت .. في الحفل .. فهي على رأس قائمة المدعوين ..

– وأين الباقون .. أين السيد مجدي .. وزوجته .. أين سمر .. إذا كانت هذه هي ليلى ..

– لقد قالت لي إنها تعيش وحيدة في هذا العالم ..

وكأن صاعقة ضربت رأس أسماء .. فصرخت مزعورة :

– يا إلهي .. هل ماتوا جميعاً .. يحدثني قلبي بشيء مخيف .. هكذا أشعر منذ البداية .. إن في الأمر شيئاً سيئاً .. هذه الفتاة السيئة .. إنها سمر .. هكذا كانت في صغرها وطفولتها .. طفلة شريرة ..

– أخشى أن يكون كل ذلك غير صحيح يا أستاذة .. قد تكون ليلى فتاة تعشق الرجال .. وتعشق إستغلال جمالها لإيقاعهم في حبائلها .. وكثير من الفتيات الجميلات تفعلن ذلك .. وتشعرن بالثقة في النفس .. وربما تشعرن أيضاً بالسعادة .. حينما يلتف الرجال حولهن .. كالذباب .. يلتف حول العسل ..

– على أي حال سوف ترين ماذا أفعل بها يوم السبت .. فلن تستطيع مواجهتي .. وسوف تعترف بما فعلت ..

– أعتقد أن الأمر لن يصل إلى السوء .. أو شيء من هذا القبيل .. وربما كان هناك خلط في الأمور .. وسوف يتضح كل شيء ..

– وهل أسرة السيد " حامد عبد الله " مدعوة أيضا ؟!

– هل تلمحين يا أستاذة إلى إبنهم " رامي " ؟!

– نعم .. هذا الشاب الفاسد .. المدلل ..

– في الحقيقة أن كل المدعوين من الأسر وأولياء الأمور .. طلبوا مني عدم دعوة هذه الأسرة .. بسبب سوء سمعة إبنهم .. ولم ينسَ أحد منهم أنه سُجِنْ بسبب تعديه على عدد من الفتيات ..

- لقد وصل التعدي على إحداهن إلى حد الإعتداء الجنسي ..

– كلنا نذكر ذلك يا أستاذة .. ولن ينسى هو نفسه أنك كنتِ شاهدة الإثبات .. في هذه القضية ..

– نعم .. ولقد هددني بعد خروجه من السجن بالقتل .. وأقسم أمام الكثيرين من أهل الحي أنه لن يفلتني .. وأنه سوف ينتقم مني ..

– ربما كان تهديده لكِ بدافع الغضب .. وكثيراً ما يطلق الشباب تهديدات من هذا النوع في أوقات الغضب .. فلا تأخذيها بمحمل الجد ..

– لقد نسيتِ إذن يا دكتورة .. عندما أسرع بسيارته نحوي لكي يصدمني لولا أنني ألقيت بنفسي بعيداً عن مسار السيارة .. وكُسرت ساقي في هذا الحادث .. ولولا قوة دفاع محاميه .. لما صدر له حكماً بالبراءة .. ولم يعاقب للأسف .. على هذه الفعلة ..

الفصل السابع

كانت ليلى تحتسي الشاي في غرفة المعيشة .. وتتصفح الجريدة اليومية التي تفضلها .. بعد أن تناولت طعام الإفطار ..

رن جرس الإنتركم ..

وكانت الزائرة هي د. علياء .. التي صعدت إلى أعلى بعد أن فتح الباب كهربائياً ..

ورحبت بها علياء أيما ترحيب .. حيث أقبلت عليها ومنحتها حضناً دافئاً.. وبعض القبلات .. في مودة وإعتزاز ..

قالت علياء .. بعد تبادل الأحضان والقبلات :

– ما أخبارك يا ليلى .. وكيف تقضين وقت فراغك ؟!

– بل قولي كيف تقضين يومك .. فإن كل وقتي .. هو وقت فراغ ..

وضحكت علياء .. متسائلة :

– ألا تشعرين بالملل ؟! ..

– أحياناً أشاهد برامج التلفاز المملة .. وأحياناً أقرأ .. ولكنني أفكر بجدية في العمل الإجتماعي .. فإن الأعمال الخيرية تستحق إهتمامنا جميعاً ..

– في الحقيقة يا ليلى .. إنني أندهش عندما أحاول أن أحلل شخصيتك ..

وضحكت ليلى ضحكة رنانة .. لم تفهم علياء مغزاها .. وقالت :

– ولماذا ترهقين نفسك يا د. علياء .. في محاولات تحليل شخصيتي ..

– ببساطة .. لأنك صديقة جديدة .. وجدتها تقتحم حياتي بقوة .. وحياة زوجي أيضاً ..

وبدا الإرتباك واضحاً جلياً على كل ملامح ليلى .. وعلقت في كلمات مرتعشة .. قالت :

- وحياة زوجك ؟ .. كيف ؟ ..

قالت علياء .. في محاولة لتخفيف وطأة كلماتها وتأثيرها على ليلى :

- مؤكد يا ليلى .. فإنني ووليد نشكل كياناً واحداً .. وأي تأثير على حياتي .. هو تأثير على حياته .. وعلى بيتنا بشكل كلي .. على الرغم أن هذا التأثير .. حدث خلال فترة زمنية قصيرة نسبياً ..

- أتفعلين ذلك مع الآخرين ؟! .. أقصد موضوع تحليل الشخصيات ..

– مع البعض .. نعم .. ولكن لم يحدث أن أصابتني الحيرة في الحالات الأخرى ..

وواصلت ليلى ضحكاتها .. قائلة في غرور :

– وهل كانت نتيجة التحليل في صالحي ؟! .. وإلى ماذا وصلتِ بتحليلاتك ..

قالت د. علياء .. بكلمات جادة .. خرجت في صورة متقطعة .. هادئة :

– تعلمين يا ليلى أن تحليل الشخصية يشمل .. فيما يشمل ..

الأفكار .. السلوك .. الأفعال .. البراءة التي تبدو على ملامح الوجه .. طريقة التحدث .. لغة الجسم .. لغة العيون .. الصدق في القول ..

مدى اللجوء إلى الكذب .. التفاعل مع الآخرين .. حب الخير .. الميل إلى الشر .. الهدوء .. الثبات الإنفعالي .. الإندفاع .. التريث .. كظم الغيظ .. الزعيق والصراخ ..

وقاطعتها ليلى ضاحكة :

– مهلاً .. مهلاً .. يا د. علياء .. إن هذا يمنحك الماجستير في تحليل الشخصية .. وليس مجرد تحليل شخصية إنسانة بسيطة .. ضعيفة مثلي ..

– إنني جادة يا ليلى .. إن وجهك يحمل ملامح جميلة ناعمة .. رقيقة .. مثل ملامح الأطفال في براءتها .. أما العينان .. إنهما مثل بركة الماء الزرقاء الصافية .. صفاؤها يغري الغواص على الغوص في أعماقها .. ولكن في أعماقها .. الله وحده يعلم .. ماذا ينتظره من المجهول !! .. فليس هناك إلا الغموض .. أما أفعالك الظاهرة .. وسلوكياتك .. وكلماتك .. وإجتماعياتك .. فكلها رائعة .. فيها رقي .. تنطوي على الخير .. أما أفكارك .. فالغموض بعينه .. أما ما نعلمه عن ماضيك .. فأنت وحدك .. تعلمين مدى صحته .. !!

وهنا ذهبت الضحكات التي لازمت شفاة ليلى طوال الوقت .. وظهر في عينيها ذلك البريق الذي كانت علياء منذ لحظات .. تخشاه .. وتصفه بالغموض ..

وسألت في نبرة قلق :

– وماذا تعرفين عني يا د. علياء .. وعن ماضيّ .. إنني لم أقضِ في الفيوم إلا بضعة أشهر.. تعد على أصابع اليد الواحدة ..

– لستُ أنا .. إنها الأستاذة أسماء ..

– ومن الأستاذة أسماء .. هل أعرفها ؟!..

– ربما لا تعرفينها .. ولكنها تقول أنها تعرفك ..

– كيف تعرفني .. وماذا تعرف عني ؟!

– على كل حال .. إنها في السبعينات من العمر .. وقد قلتُ لها أنه ربما إختلطت عليها الأمور .. بفعل الشيخوخة .. أو حتى بفعل الزمن والنسيان .. فهي تتحدث عن فترة زمنية لا تقل عن ثمانية عشر عاماً .. أو ربما عشرين عاماً ..

قالت ليلى بنفاذ صبر :

– فماذا قالت عني إذن ؟!

– إنها تدعي أن إسمك سمر محمد .. وليس ليلى مجدي !!

وفي حركة لا إرادية .. نهضت ليلى من جلستها .. وكأنه قد أصابها مسٌّ من الجن .. وإتسعت حدقتا عينيها .. وكأن شرراً يتطاير منهما .. وإختفى جمال زرقة عينيها .. وراء حمرة الشرر الذي تطاير منذراً بأن بركاناً قد ثار للتو في صدرها ..

ولكنها سرعان ما تداركت خطأ رد فعلها .. وسيطرت على ثباتها الإنفعالي .. فجلست .. مُدّعية الهدوء ..

وقالت .. مع إبتسامة باهتة .. متكلفة :

– ومن تكون سمر محمد هذه ؟..

– القصة يا عزيزتي .. أن الأستاذة أسماء هي المديرة السابقة للمدرسة التي كنتِ فيها .. منذ طفولتك .. مدرسة الزهور ..

ربما كنتِ في الرابعة من عمرك .. كنتما طفلتين .. متشابهتين .. ليلى .. إبنة السيد مجدي.. وسمر إبنة السيد محمد يوسف .. والتي كفلها السيد مجدي .. وكانت ليلى .. حسب رواية الأستاذة .. قد تشوه وجهها في حادث مات على أثره أحمد .. أخوها .. الطفل .. وهذا التشويه في الوجه هو ما كان يميز بين ليلى .. وسمر .. بالإضافة إلى لون الشعر .. وزرقة العينان ..

فقالت ليلى في محاولة مكشوفة للظهور بثوب الهدوء والثقة بالنفس .. وقد رسمت إبتسامة على شفتيها .. لم يكن صعباً على علياء معرفة أنها إبتسامة مزيفة ..

– آه .. إن الأمر كذلك إذن .. إن الأمورهكذا باتت أكثر وضوحاً .. ولقد صدقتِ يا دكتورة علياء حين قلتي لها إن الأمر به إختلاط واضح .. وأن الزمن قد جعلها تخطيء .. فمن تشوه وجهها هي سمر .. وهي التي كانت مع أخي أحمد أثناء الحادث الرهيب الذي وقع لهما .. وأما أنا فقد كنتُ في البيت مع بابا و ماما في ذاك اليوم المشئوم ..

– على أية حال .. إن هذا هو ما قلته لها .. وما إعتقدتُه .. وعليكِ

أن تصحّحي لها ما أنساها الزمن .. بعد غد .. فسوف تحضر الحفل ..

– نعم .. نعم .. سوف أصحح لها الأمر بعد غد .. عندما أقابلها .. إنه جميل أن نلتقي بأحدهم بعد عشرين عاماً .. أو يزيد ..

ثم نهضت .. قائلة :

- لقد أخذنا الحديث .. ولم أقدم لكِ شيئاً .. عصير فريش .. أم قهوة ..

– بل شاي أفضل ..

وغابت ليلى الوقت الكافي لإسترداد وعيها الذي كاد يغيب تحت وطأة هذه الصدمة التي تلقتها منذ لحظات .. وهي التي كانت تعتقد أنها هنا في الفيوم قد أصبحت من أبعد ما يكون عن التهديدات المحتملة .. فإذا بها تنساق وراء قدرها .. الذي ذهب بها إلى آخر مكان .. كانت تفضل الذهاب إليه !!

وبدأت تفكر ..

ماذا أصنع بعد غد مع هذه العجوز .. قبل أن تحكي للجميع .. بعد أن حكت للدكتورة علياء ..

فإذا كانت الدكتورة علياء قد حاولت إقناعها بأنها قد خلطت بين الأمور .. بسبب ضعف الذاكرة .. وبسبب مرور الأعوام العشرون .. فمن الجائز أن يتصرف الباقون عكس ما تصرفت علياء .. بل قد يثيرونها ضدي .. ويؤكدون أن ذاكرتها قوية .. ولم تتأثر بالشيخوخة .. فيتأزم الموقف .. وتظهر هناك مشاكل جديدة .. أنا في غِنى عنها ..

يا إلهي .. ما للمشاكل تتساقط فوق رأسي منذ وصلت إلى هذه المدينة السخيفة .. وكيف أهرب من كل هذه المصائب ..

وهل أظل هكذا .. كلما تخلصت من مصيبة .. تواجهني مصيبة أصعب ؟ ..

وعادت ليلى بعد قليل .. وكأنها إستطاعت أن تغسل عن نفسها كل القلق ..

فعاد معها الإشراق لوجهها .. والبراءة لكل تفاصيل ملامحها .. والزرقة الصافية .. لعينيها !!

قالت بابتسامتها المعهودة :

– أجمل كوب شاي .. لأجمل صديقة ..

– أشكر لطفك يا ليلى ..

ثم قدمت علياء إليها دفتر .. قائلة :

– في هذا الدفتر يا ليلى .. كل أسماء من دعوناهم للحضور .. وأبنائهم .. لمعرفة عدد قطع الجاتوه .. والكيك .. والشطائر .. والعصائر .. والألوان التي سوف يلعب بها الأولاد في لعبة ال " كِلَر فايتنج " أو " التراشق بالألوان " .. التي يحبونها جداً .. حتى نحضر كل الأدوات .. ونحجز الطلبيات لدى محلات الحلويات والمطعم .. ومحل العصائر .. حتى يحضروا لنا كل شيء فريش .. بعد غد .. فهيا معاً .. نستعرض الفقرات التي يحتويها برنامج الإحتفال ..

وتناولت ليلى الدفتر .. وفتحت الصفحة الأولى .. فوجدت ضالتها .. حيث تَضَمّن الدفتر أسماء وعناوين كل المدعوين بالتفصيل .. وبدقة .. وحتى أرقام الهواتف ..

وكان أول الأسماء .. هو إسم الأستاذة أسماء .. وعنوانها ..

ولم تكن ليلى ترغب من الدفتر كله .. غير العناوين ..

وبعد خروج علياء من البيت .. تجمع كل خوف العالم .. في صدر ليلى .. حتى أنها أحست أن جبلاً قد جثم على صدرها .. وكاد يحطم عظامها ..

وأخذت تشعل السيجارة .. من الأخرى .. وكان القلق قد استبد بها .. ومرت الساعات مكبلة .. ثقيلة ..

ولا تعلم ليلى كم من الوقت قد إنقضى .. قبل أن يرن الجرس .. ويأتي صوت وليد .. ويأتي معه الأمل ..

والآن فقط .. أشرقت على ليلى .. شمس هذا اليوم !

واسترخت ملامحها ..

وزال التوتر .. الذي ظل جاثماً على صدرها ..

وفي المساء .. وعلى الشاطيء .. كانت تسير معه .. يداً بيد .. تحت ضوء القمر .. والساعة تقترب من منتصف الليل ..

قالت له .. ويدها تداعب يده .. في رقة ..

- كيف استطعت يا وليد أن تختطفني بهذه السرعة .. وتأسر قلبي

هكذا .. ودون سابق إنذار ؟

- هل تعلمي أن هذا هو السؤال الذي أود أن أوجهه .. إلى عينيكِ ؟ إنني أسير معك الآن .. بينما أسرق هذه اللحظات من الزمن .. لكي أعيش في حالة من الحب .. تسللت إلى قلبي .. بل إقتحمت قلبي في لحظة .. بنظرة واحدة من عينيك ..

- وليد .. هناك موضوع يؤرقني .. بل يقتلني التفكير فيه ..

- لا بد أن تعلمي أنني إلى جوارك .. وسوف أبذل قصارى جهدي لمساعدتك .. وإبعاد أية أذي يمكن أن يصيبك ..

- هذا هو ما يهديء من روعي .. ويفتح لي طاقة كبيرة من الأمل ..

- حياتي فداك يا ليلى .. ما هي المشكلة التي تقلق بالك .. وتؤرقك ؟

- سوف أحكيها لك .. بكل أبعادها ..

الفصل الثامن

كان يوماً مشرقاً .. إحتضنت فيه أشعة الشمسُ الجميع بدفئها ..

فاستقبلوا اليوم الجديد بالمرح ..

وكانت ليلى حريصة على أن تبدو في أبهى صورة ..

فبدت في ثيابها المتناسقة الألوان .. عروساً .. تزف إلى عريسها ..

فتاة .. جمالها .. يأسر الألباب .. ويخطف القلوب ..

ورحب بها الجميع .. مديرة المدرسة .. والمدرسون .. والمدرسات .. والمدعوون .. وعلى رأسهم د. علياء .. وأسر الأطفال .. وأولياء الأمور وبإحتساب الأطفال .. من الطلبة والطالبات .. وصل عدد الحضور إلى ما يقارب الخمسين شخصاً ..

وبدأت المدرسة تعج بالنشاط .. والسيدات يتحركن في كل مكان مع الأطفال لتعليق الزينات .. والبالونات الملونة .. وإزدانت الحوائط والأسوار بالمصابيح الكهربائية الحمراء والخضراء والزرقاء ..

وبعد التعارف .. بدأ الحفل ..

فكانت أول فقرة في البرنامج هي ممارسة الهوايات .. من العزف على الآلات الموسيقية .. والغناء ..

وكانت فقرة جميلة .. غنّى فيها الأطفال ما يحلو لهم من الغناء ..

كما عزفوا المقطوعات الموسيقية التي يجيدون عزفها ..

وتلاها فقرة التقليد .. التي إنضم فيها أولياء الأمور .. إلى الطلبة

والطالبات .. حيث يقوم كل من يستطيع أن يقلد أحداً بتقليده .. كأن يقلد ممثل أو ممثلة في دور معين .. أو يقلد أحداً من المشاهير .. أو حتى يقلد أحد المدرسين في الفصل في أداء دوره عندما يشرح .. أو عندما يتحدث وكانت هذه الفقرة تدخل الفرح والمرح إلى جو المكان ..

وكانت الضحكات تغمر المدرسة ..

وكانت الفقرة التالية .. هي لعبة الكراسي الموسيقية ..

وكانت تقضي بأن يصطف الجميع في حلقة واسعة .. ويتم إختيار عشرة من الأطفال .. الذين يدورون حول تسعة كراسي .. يتم وضعهم في منتصف الحلقة .. بينما تعزف الموسيقى .. وفور توقف الموسيقى .. يجلس كل طفل على أقرب كرسي .. طبعاً سوف يفوز تسعة أطفال بالكراسي ..

أما الطفل العاشر فهو الخاسر .. فعليه أن ينفذ الجزاء الذي يطلب منه أحد الحضور تنفيذه ..

فبدأت الموسيقى تعزف .. وبدأ الأطفال يدورون حول الكراسي .. وفور أن توقف العزف .. جلس تسع طلبة .. وتبقى سامي .. وصفق الجميع وانتظر سامي أن يطلب منه أحد الحضور طلباً فينفذه .. فطلبت منه الدكتورة علياء طلباً رحيماً .. سهل التنفيذ .. فقالت له :

إحكي لنا مشهداً يجعلك تضحك .. كلما تذكرته ..

فقال سامي :

- لقد رأيت في حديقة الحيوان قرداً .. في قفصه .. كان يأكل الموز .. فبدأت أداعبه .. فألقاني بقشر الموز .. فضحكت .. وضحك من كانوا معي بالقرب من هذا المشهد ..

فضحك الجميع .. وصفقوا .. فهو مشهد يستحق أن يتذكره الإنسان مبتسماً ..

وعزفت الموسيقى مرة أخرى .. ودار الأطفال .. وخسرت ندى ..

وقالت لها مديرة المدرسة :

- كما حدث مع سامي .. إحكي لنا مشهداً .. رأيتِه .. وأعجبكِ ..

قالت ندى :

- لقد رأيت في البحر .. بطة تعوم .. ثم جاء دلفين من أسفلها .. وحملها فوق ظهره .. وراح يسبح بها .. والناس تضحك على رقصات الدلفين في الماء .. والبطة فوق ظهره ..

وكان على ليلى أن تطلب من الطفلة هند التي خسرت في الدورة الثالثة طلباً .. فتنفذه ..

قالت لها :

- إحكي لنا عن مشهد على العكس مما رآه الآخرون .. يجعلكِ لا تفرحي كلما تذكرتيه .. بل تودي ألا تتذكريه ..

وأخذت هند تتذكر .. إنها لم يحدث أن رأت شيئاً مثل هذا .. ولكي تتخلص من هذه المشكلة .. بدأت تتحدث عن مشهد قفز إلى مخيلتها ..

كانت قد رأته ليلة أمس في التلفاز .. فقد كانت تشاهد أحد الأفلام .. ورأت سيدة تقتل سيدة أخرى .. وشاهدت طفلة هذا المشهد .. بينما كانت تتخفى خلف الستارة ..

فقالت هند :

- لقد رأيت أمس جريمة قتل .. حيث كانت سيدة تقتل سيدة أخرى .. بينما كنت أتخفى خلف الستارة ..

كانت ردود الأفعال على قول هند متباينة ..

صاح الطلبة :

- كاذبة .. أنت كاذبة .. وكعادتك .. تؤلفين القصص والأكاذيب كما إعتدنا منك دائماً ..

وسألها أحد أولياء الأمور ..

- متى حدث هذا؟

وأحست الطفلة أنها تورطت .. فقد كانت تعتقد أن أحداً لن يعلق .. ولن يسألها أحد عن شيء .. ولم تحسب لقصتها أي حساب .. فلم يسأل أحد من سبقها من الأطفال .. ولم يعلق أحد على ما قالوا ..

وإضطرت أن تتمادى في كذبها ..

أعاد عليها السؤال ..

- متى حدثت الجريمة هذه التي رأيتِها ؟

أجابت .. متلعثمة ..

- أمس .. لقد رأيتها أمس ..

سألتها أمها في نبرة تنم عن عدم تصديقها :

- ولكنك لم تخبريني أمس .. لماذا؟

- لأنني كنت خائفة .. وكنت سوف أخبرك اليوم ..

- إنها قصة خيالية .. لم يحدث شيء من هذا .. فلا تقولي مثل هذه الحماقات يا هند ..

– بل رأيتها رأي العين .. ولا أتخيل شياً ..

– بل كلنا نعلم أنها من وحي خيالك .. فتوقفي عن عنادِك ..

وقالت بعض الأصوات :

نعم .. أنت كاذبة .. نحن لا نصدق ما تقولين ..

وكان لسان الطفلة قد إنطلق .. وتحررت من الخوف .. فتمادت في تأكيد قصتها ..

قالت :

- سوف ترون .. بعد إنتهاء الحفل .. علينا أن نخبر الشرطة بكل ما رأيت !!

قال البعض من الحضور :

لن نهتم لقصتك .. فهي ليست الأولى في سلسلة أكاذيبك .. فخيالك الخصب يصلح فقط في تأليف الروايات الخيالية ..

وهكذا رفض الجميع تصديقها .. وقوبلت منهم بسخرية .. مما أثار

غضبها ..

وإنتظم الحفل مرة أخرى ..

وإنغمس المتسابقون في اللعب ..

وإتجه الأطفال إلى فناء المدرسة .. حيث المكان فسيح ويصلح لجريهم ومرحهم .. وبدأت لعبة القتال بالألوان .. أو ما يسمونها " الكِلر فايتنج " ..

حيث يقذف الأطفال بعضهم البعض بقذائف الألوان ..

وعلا الضحك .. وساد الضجيج ..

وكان الأطفال يجرون وراء بعضهم البعض .. يغرقون بعضهم بالألوان ..

فتلونت شعورهم .. ووجوههم .. وتلطخت ملابسهم بالألوان ..

وبعد أن نال منهم التعب .. أخبرتهم الدكتورة علياء أن الكيك والجاتوه والشطائر والعصائر قد أُحضِرَت .. وحان وقت الغداء .. وأنه عليهم أن يتجهوا منظمين إلى الحمامات .. للإغتسال .. وتبديل ثيابهم .. بعد أن إمتلأت أجسادهم بالألوان ..

وإنشغل البعض في إستلام الشطائر .. وإنشغل البعض الآخر في إستلام الكيك والجاتوه .. وإستلام العصائر .. والبعض أخذ يعد الطاولات التي سوف يستخدمونها في تقديم الغداء ..

وهكذا إنشغل كل فريق بعمل شيء ما ..

ولاحظت د. علياء أن الأستاذة أسماء قد تأخرت على الحفل .. فقالت لمديرة المدرسة :

– لقد مر الوقت سريعاً .. ولم تحضر الأستاذة أسماء .. وليس أقل من أن تحضر الغداء .. أرجوكم أخروا الغداء لحين حضورها .. لأنها يجب أن تشارك في توزيع الجوائز على الطلبة والطالبات المتفوقين ..

– أجل .. علينا الإنتظار .. فمن المؤكد أنها تأخرت لسبب قوي .. سوف أرسل أحداً في إستعجالها ..

– بل سوف أذهب أنا .. إنني أحب أن أفعل ذلك ..

– لا بأس .. سوف ينتظر الغداء لحين حضوركما ..

وإن هي إلا ثلاثين دقيقة .. حتى صَدَم الجميع .. مشهد بكاء وصراخ علياء .. وهي تصيح فيهم :

– كارثة .. كارثة حدثت .. لقد وجدتُ الأستاذة ملقاة على الأرض .. لا نبض فيها .. ولا حياة ..

وساد الذعر .. وإنقبضت القلوب .. وعلا الصياح .. وطالب البعض باستدعاء الشرطة فوراً ..

وقالت إحدى الأمهات في بكاء وحزن :

- يا للكارثة .. أسماء المسكينة .. من هو الوحش الذي يستطيع أن يقتل مثل هذه الإنسانة الرائعة ؟

وقالت أخرى بكلمات يعتصرها الألم :

- مسكينة أسماء .. كان إنكار الذات من أبرز سماتها .. وكانت تكلف نفسها فوق ما تطيق .. في خدمة الآخرين .. كيف يقدم أحدهم على قتلها ؟

لقد أصابهم موت الأستاذة أسماء بصدمة عنيفة ..

وطلبت المديرة الشرطة تليفونياً .. وأخبرتهم أن هناك حالة وفاة في بيت الأستاذة أسماء .. وأنهم لا يستطيعون أن يجزموا إذا كانت الوفاة جنائية .. أم طبيعية ..

وطلبوا منها العنوان بدقة .. وسألوها عن إسم المبلغ .. ومن إكتشف حالة الوفاة .. ومتى إكتشفوا ذلك .. وأسئلة أخرى أجابتها باكية في حزن شديد ..

كما طلبوا منها ألا يقترب أحد من المتوفاة .. وألا يعبثوا بأي شيء في المكان .. وألا يحرك أحد الجثة ..

وبدأ الأطفال يتوافدون إلى الجمع .. بعد الإغتسال .. وتبديل ثيابهم بعد أن أصابتها الألوان .. وسادت حالة من الحزن ..

وقالت المديرة :

– على أولياء الأمور أن يصطحبوا أطفالهم .. ويذهبوا إلى منازلهم .. وأنت أيضاً يا أستاذة ليلى .. إذهبي إلى بيتك .. وسوف أتجه أنا فوراً إلى منزل الأستاذة أسماء .. بصحبة الدكتورة علياء ..

وإكتشفت أم الطفلة هند أن إبنتها هند غير متواجدة .. فطلبت من

الأطفال أن يذهب أحدهم للبحث عنها .. ربما كانت تغير ثيابها .. في الحمامات ..

وإنطلق طفلان يبحثان عنها ..

وسمع الجميع صراخ الطفلين وبكاؤهما يملأ المكان .. فإندفعوا في قلق و ذعر وهلع إلى مصدر الصوت .. إلى الحمامات .. حيث عثروا على جثة الطفلة هند ممددة على الأرض .. وقد ألقي الجاكت الخاص بها على الأرض .. إلى جوار جثتها .. كما تمزقت ثيابها .. من ناحية الصدر .. كما لو كان أحدهم قد حاول إغتصابها .. ولما فشل قتلها .. خشية فضحها لأمره كما كانت أذنها عارية من القرط الذهبي .. وقد أنتزعت السلسلة الذهبية من رقبتها ..

وتلقت الأم صدمة عنيفة .. وصرخت صرخة مدوية .. وانهزمت لدى رؤية طفلتها المسكينة جثة هامدة .. فقفز قلبها من بين أضلعها .. حزناً وألماً ..

و تجمدت الكلمات على شفتيها .. وبدا على وجهها آية من آيات الهلع لم ير أحد مثلها على وجه إنسان .. كما جمدت عيناها في محجريهما من فرط الفزع .. وغرقت في دوامة من الذهول ..

وجرت على إبنتها .. وألقت بنفسها عليها .. تهز جسدها .. وأمسكت بذراعيها تحركهما بقوة .. لعلها تنهض .. أو تفيق .. رغم أنها كانت قد أدركت أن الأوان قد فات .. وأنه لم يعد في الإمكان عمل شيئ لها

.. فكفت عن محاولاتها .. وهزت رأسها في يأس وحزن .. وهي تبكي بكاءً مريراً ..

وتعالت الصيحات والصراخ .. وملأ المكان رائحة الموت .. ومرة أخرى .. إتصلت المديرة بالشرطة لكي تخبرهم بحالة وفاة أخرى .. في المدرسة !!

الفصل التاسع

إتجهت المديرة فوراً إلى منزل الأستاذة أسماء لكي تستقبل الشرطة .. حيث أنها هي المبلغة عن الجريمة .. كما رافقتها د. علياء .. على إعتبار أنها هي التي رأت الجثة ..

ولم تنقضِ دقائق قليلة .. حتى كانت الشرطة تحيط بمنزل الضحية .. وتثبت كردون حوله ..

أفراد شرطة .. ومخبرين ..

كان المحقق متوسط القامة .. ويبلغ من العمر نحو الخامسة والثلاثين.. وتشع من عينيه نظرات رجل شديد الصرامة .. وإن بدا لناظريه رجلاً طيباً دمث الأخلاق ..

وطلب المحقق من أفراد الشرطة أن يبدأوا مباشرة مهمتهم .. من إجراءات التفتيش الشاملة لبيت الضحية .. وجمع أية أدلة .. أو أدوات محتملة للجريمة .. و سلاح الجريمة .. إن وجد ..

أما الطبيب الشرعي فقد بدأ فحص الجثة التي كانت ممددة على الأرض.. بعد أن تم رسم الوضعية الحقيقية لمكان الجثة والخطوط التي تحدد مكان الجثة وشكل تواجدها على الأرض من حيث وضع رأسها .. وكيف تمددت أرجلها ..

وكيف كان وضع الذراعين ..

وتم رسم الإحداثيات المطلوبة .. لوضع الجثة .. و بيان موقع المكان بالنسبة للجهات الأربع الأصلية .. حيث يجب إثبات حالة المحل الذي وجدت فيه الجثة بالتفصيل ..

كما تم إثبات حالة المجني عليها .. و بيان طبيعة الجثة .. و الوصف الدقيق لها .. وأيضاً .. وصف الجثة من حيث الجنس .. ذكر أم أنثى .. مع العمر التقريبي .. والطول والعلامات البارزة الآثار .. كالجروح والكدمات .. و فحص الملابس ووصفها .. ومعاينة الجثة ومعرفة تاريخ الوفاة .. وساعة حدوثها بأكبر قدر ممكن من الدقة ..

و كان التقرير يشير إلى أن الوفاة حدثت في الساعة الثالثة وخمسة وعشرون دقيقة .. من مساء يوم الجمعة الموافق الثالث والعشرين من شهر سبتمبر .. وأن سبب الوفاة هو الإختناق .. حيث يوجد آثار شريط حول عنق الضحية .. وأن الوفاة لم تكن بسبب الإصابة في الرأس .. حيث وجدت إصابة بالرأس .. بأداة صلبة .. في مقدمة الجانب الأيسر من الرأس .. وتم تصوير مكان الجريمة .. وذلك من أجل وصف الحادث وصفاً دقيقاً وشاملاً ..

كما رسم المحقق تخطيطاً عاماً .. لمحل الحادث وضمّنهُ موقع الجريمة ..

وأيضا الجدران .. الشبابيك .. والأبواب .. لبيان المداخل والمخارج المحتملة لمسرح الجريمة ..

و بعد أن أنهي المحقق الإجراءات الإحتياطية .. بدأ بعملية التفتيش

للمنزل ..

فقام أفراد الشرطة والمخبرون بتفتيشه غرفة غرفة .. بما تحتويه من آثاث .. وبعد إنهاء الطابق الأرضي إنتقلوا إلى الطابق العلوي .. ثم صعدوا للأعلى .. فالأعلى ..

حتى فتشوا جميع مرافقه ..

كما نظم المحقق محضراً ودون ذلك .. والزمان والمكان .. والأشياء المضبوطة .. وأوصافها .. وأسماء الأشخاص الموجودين ..

كانت غرفة النوم مليئة بالفوضى .. وكل شيء مُلقى على الأرض .. كما أن هناك صندوق ربما أُلقي على الأرض بعد ما أُفرِغ مما كان فيه .. لا يُعرف على وجه اليقين .. إذا كان خاوياً .. أم كان يحوي مجوهرات .. قبل إلقائه على الأرض ..

وواضح أن الصوان كان قد فُتِح بالعنف بواسطة نصل سكين .. أو شيء حاد ..

إلا أنه لم يكن هناك سكيناً .. ولا شيء حاد ..

وتفيد المعاينة أن الجاني ربما إستخدم قفازات .. حيث أنه لم يترك أية بصمات تدل عليه ..

كما وجدت آثار أقدام .. يبدو أنها آثار حذاء مقاس كبير .. حذاء رجل .. مقاس إثنين وأربعين ..

ولا يوجد آثار عنف على الباب الخارجي للمنزل .. مما يفيد أن الباب قد

تم فتحه بالمفتاح .. أو تم فتحه بواسطة أحد من الداخل .. وفي هذه الحالة الأخيرة ..

إما أن يكون الجاني معروفاً لدى الضحية .. ففتحت له الباب بعد سماع صوته .. كأن يكون أحد الأقارب ..

أو أن يكون من أصحاب الثقة لديها ..

وإلا لما فتحت له الباب .. خاصة أنها تعيش وحدها في البيت ..

وكانت النوافذ مقفلة من الداخل .. ولم تُمس ..

وبمعاينة الضحية .. وجد أنها قد تلقت ضربة في الجانب الأيسر من مقدمة الرأس .. ولذلك يرجح أن يكون الجاني أعسراً .. إلا إذا إفترضنا أن الضحية حركت رأسها بسرعة تزامناً مع إصابتها في الرأس .. فجاءت الإصابة في الجانب الأيسر من الجبهة ..

كانت هذه هي التحليلات التي وصل إليها المحقق .. بعد تدوين كل ملاحظاته ..

ومن المرجح أن تكون أداة الجريمة قضيب خشبي .. أو شيء مشابه .. وليس قضيب حديدي .. وذلك لأنه إذا كانت الأداة حديدية .. لسقطت الضحية أرضاً .. غارقة في دمائها .. إلا أنه لم يكن هناك دماء ..

فالضحية سقطت أرضاً بفعل إصابتها بأداة خشبية .. أو ما شابه .. وربما تعمد الجاني أن يسقطها أرضاً .. دون إراقة دماء .. حتى لا تلوثه الدماء وتلوث ثيابه .. فتترك أثراً يدل عليه .. أو تسهل إكتشافه ..

ثم إنحنى على الضحية .. ولم يجد منها أية مقاومة .. فخنقها .. مستخدماً القفازات .. أو قطعة من القماش .. أو ما شابه ..

وربما كانت مصادفة أن يجد الجاني قطعة الخشب .. فاستخدمها .. دون أن يعمد إلى تجنب إستخدام قطعة من الحديد .. لتجنب إسالة الدماء .. وهي لم تقاوم .. أي أنها لم تكن تتوقع ما حدث .. ولم تشعر بخوف .. أو هلع .. وكانت تعرف أن القاتل شخصاً .. لا يمكن أن يقدم على إيذائها ..

وربما فاجأها الجاني بالضربة على رأسها .. فلم يُتِح لها الفرصة للمقاومة ..

وقد تكون الجريمة بغرض السرقة ..

وقد يكون الجاني قد أحدث هذه الفوضى .. وبعثر الأشياء على الأرض للإيهام بأن الجريمة .. كانت بغرض السرقة ..

وقد تكون بغرض الإنتقام .. أو الثأر .. أو بسبب عداء شخصي ..

ومن الواضح .. أن مرتكب الجريمة كان شخصاً واحداً .. وليس أكثر من واحد .. فقد كانت آثار الأقدام لشخص واحد ..

إلا إذا كان له شريك في الجريمة .. ووزعوا الأدوار بحيث كان عليه أن يراقب الموقف من الخارج ..

وربما كان هذا الآخر هو صاحب الصوت المعروف لدى الضحية .. فكان دوره فقط أن يُسمِعها صوته .. فتفتح .. فيدخل الآخر ويفعل

فعلته الدنيئة .. ويجهز عليها .. ثم يسرق نقودها .. أو حليها ..

وهكذا كان المحقق لا يميل إلى الفرض الراجح على أنهُ هو الحقيقة .. فقد لا تكون الحقيقة .. إلا في أبعد الفروض .. فعليه إذن أن يدرس جميع الفروض .. ولا يهمل أي واحد منها .. مهما كان ناقصا .. أو بعيداً ..

فكان المحقق يؤمن بأن الحقيقة تقود إلى حقيقة أخرى .. وهكذا .. وعليه وضع الحقائق جنباً إلى جنب .. فإذا إتصلت وإستقامت .. كان بها .. وإلا فعليه أن يبحث عن الحلقة المفقودة ..

ولذا كان دائماً يؤكد للشهود .. ولمن يحقق معهم .. أنه عليهم أن يضعوا أمامه التفصيلات .. كاملة .. بصرف النظر عما يراه الشاهد .. هاماً .. أو غير هام .. ومهما كانت تبدو تافهة .. لأن الحقيقة مهما ضؤلت .. فلها أهميتها .. لإن كل شيء ينطق أمام المحققين ..

وكانت د. علياء هي أول من سألهم المحقق ..

- إلإسم .. والسن .. والعنوان ..

- د. علياء محمد فريد .. ثمانية وعشرون عاماً .. أعيش في الفيلا المجاورة لمدرسة الزهور .. حي " لطف الله " ..

- دكتورة طبيبة بشرية .. أم دكتورة أكاديمية ..

- دكتورة صيدلانية ..

وقدمت له بطاقتها الشخصية .. فأخذ يتفحصها بعناية ..

- منذ متى و أنتِ تقيمين في هذا السكن ؟
- أقيم فيه منذ عدة سنوات ..
- لقد كنتِ أنتِ أول من رأى الجثة .. أليس كذلك ؟
- لا أستطيع أن أجزم بذلك ..
- هل تعني أنه ربما رآها شخص ما .. قبل أن ترينها ؟!
- إنه مجرد إحتمال .. ربما ..
- ولكنكِ أنتِ من أبلغ عن وجود الجثة .. واكتشاف الجريمة ..
- نعم يا فندم .. أنا التي أبلغت السيدة منيرة .. مديرة المدرسة .. مدرسة الزهور الإبتدائية .. وهي التي قامت بإبلاغ الشرطة ..
- ولماذا لم تُبلغي الشرطة أنتِ بنفسك ..
- لأنني كنتُ في حالة نفسية رهيبة .. فقد صدمني أن أجد الأستاذة ممددة على الأرض .. مقتولة ..
- هل هكذا تسمونها ؟! .. الأستاذة ؟!
- نعم .. منذ أن كانت هي مديرة مدرسة الزهور .. وقبل أن تحال إلى التقاعد ..
- لقد كنتِ تعرفينها إذن ..
- لقد كانت مُدرّستي في يومٍ ما .. بينما كنتُ طفلة .. كنا نحبها جميعاً ..
- من تقصدين ب " جميعاً " ..
- كل أهل الحي ..

- حسناً .. أرجو أن تدلي بكل ما تعلمينه .. وإن لم يكن ذا بال .. عن حياتها وجيرانها .. وعلاقاتها .. وأعداءها .. ومشاكلها مع الآخرين ..

- أكيد يا فندم .. سوف أشهد بكل ما أعلمه .. بدقة .. وبالتفصيل ..

- أخبريني إذن .. أليس لها أعداء ؟! ..

- لا أعتقد ذلك .. إنها كانت تتصدق كثيراً .. وتعطف على الفقراء .. وتساعد من يطلب مساعدتها .. ودودة .. تحتفظ بعلاقات طيبة مع الجميع ..

- ومع ذلك فقد قتلها أحدهم .. كيف تفسرين ذلك ؟

- ربما قتلها أحد الغرباء عن الحي ..

- ثأر مثلاً .. أو إنتقام ؟!

- ربما .. وربما بدافع السرقة ..

- تقولين أنك رأيتها مقتولة .. فكيف عرفتِ أنها مقتولة ؟

- لم يكن من الصعب أن أعرف أنها ماتت مقتولة .. وبالتحديد مخنوقة ..

بعد أن رأيت إحتقان الوجه.. وجحوظ العينين .. وخروج اللسان من الفم ..

كما لاحظت إزرقاق الشفتين .. وظهور زَبَد رغوي حول فتحتي الفم والأنف ..

- واضح أنكِ كان لديكِ الوقت الكافي .. وأيضاً الرغبة .. في فحص

الجثة !

- ليس الأمر كذلك .. فقد إنكفأتُ عليها لمعرفة ما إذا كانت في حاجة إلى مساعدة .. أو إسعاف .. أو حتى نقلها إلى أقرب مستشفى ..

- لقد ذكرتِ أن القتل ربما كان بدافع السرقة .. فهل كانت ثرية ؟! ..

- أقول ربما كانت ثرية .. فعلم أحدهم بذلك .. فأغراه كونها تقيم بمفردها ..

فخطط لسرقتها .. بعد قتلها .. وربما كان يخطط لسرقتها .. ولكنها أحست به .. فإضطر لقتلها .. حتى لا تفضح أمره ..

- إذا كان أحدهم يعلم أنها ثرية .. فلا بد أن يكون من أقربائها ..

- ربما .. وهذا إذا كانت ثرية حقاً .. فهذه كلها إفتراضات .. قد لا ترقى إلى مستوى الحقائق ..

- وهل تعرفين أقاربها ؟

- أذكر أنني قد رأيت أحدهم .. بينما كان يهم بالخروج من بيتها ..

- ومن هو ؟!

- لقد ذكرت لي أن إسمه " مراد " .. على ما أعتقد ..

- وهل كانت هذه هي أول مرة ترينه ؟!

- نعم .. وآخر مرة ..

- لماذا تقولين آخر مرة .. هل لأنها كانت آخر مرة .. أم لأن إنطباعك عنه كان سيئاً .. فوددتِ أن تكون هذه هي آخر مرة ..

- كلاهما ..

- لقد كان إنساناً سيئاً إذن .. أو هكذا كان إنطباعك عنه ..

- هذا صحيح ..

- لماذا ؟ .. ماذا كان منه .. فأساء إليك ؟!

- ليس لي .. بل أساء إلى الأستاذة ..

- تمهلي قليلاً يا دكتورة علياء .. فأنتِ تأخذينني إلى أماكن كثيرة بسرعة ..

- ماذا تعني يا فندم ..

- مراد هذا .. ماذا كانت علاقته بالضحية ..

- مراد هو إبن أخو الأستاذة .. رحمها الله ..

- هي عمته إذن .. مباشرةً ..

- هذا هو ما ذكرته لي ..

- ولماذا خصتك أنتِ بهذه المعلومة ؟

- ربما لا أكون أنا وحدي التي لديها هذه المعلومة .. وربما لأنها كانت غاضبة منه .. فقد كان يصيح ويصرخ .. عندما قابلته على عتبة البيت .. وأنا أهم بالدخول .. وكان هو يهم بالخروج ..

- ماذا كان يقول ؟

- لقد كان يصيح " لعن الله كل النساء .. لماذا لا تموتون جميعاً .. حتى نرتاح منكم "..

- إذن ذكر الموت ..

- ذكر الموت .. نعم .. ولكنه في الحقيقة لم يذكر القتل .. أي أنه لم يهدد بالقتل ..

- وكيف كان يسيء إليها ..

- كان كثيراً ما يطلب منها النقود .. وأحياناً كانت تمنحه ما يطلب .. وأحياناً لا تعطيه شيئاً .. فيغضب .. ويثور .. ويصيح في وجهها ..

- وبما أنه كان أحد الورثة .. فقد كان يتمنى لها الموت ..

- لم يكن هو أحد الورثة .. بل كان هو الوريث الوحيد ..

- آه .. هل بذلك نكون قد حصلنا على ضالتنا ؟.. ويكون مراد هذا هو الصيد السمين الذي علينا أن نبحث عنه ؟

- لك أن تفكر كيفما شئت يا فندم .. ولكنني أعتقد أن مراد هذا .. ربما كان ليس إلا أحد الذين يمكن الإشتباه بهم ..

- ومن تعتقدين .. يمكن أن يكونوا في دائرة الإشتباه ؟!

- يا فندم .. لقد أدليت بما أعلم ..

- بالمناسبة يا دكتورة علياء .. قولي لي كيف دخلتِ إلى البيت .. عندما وجدتِ الجثة ممددة على الأرض ؟

- لقد ضغطت زر الجرس مرتين .. وإنتظرت ربما دقيقة .. أو دقيقتين ..

إلا أن أحداً لم يرد .. وهممتُ أن أعود أدراجي .. إلا أنني طرقت الباب

بيدي عدة مرات .. وفي أحد هذه المرات وجدتُ الباب ينفتح قليلاِ .. فدفعته بيدي .. وفتحته .. ودلفتُ إلى الداخل .. فكانت صدمتي عنيفة .. وإقتربتُ منها .. وإنحنيت عليها .. وفي فزع شديد .. وخوف رهيب .. رأيت كيف كان وجهها أزرقا .. وعيناها كانتا جاحظتين .. وزبد رغوي حول فتحة الفم ..

- أشكرك يا دكتورة علياء .. يمكنك الذهاب .. ولكن إسمحي لي أن أزورك في حال إحتجت للإستفسار عن أي شيء .. حيث أنني أعتقد أن لديك الكثير من المعلومات .. حول الضحية .. وأيضاً سكان الحي ..

- تحت أمرك .. ولن أبخل بأي معلومات قد تحتاجون إليها ..

- إذن هذا هو كل شيء .. أليس لديك معلومات .. بسيطة .. قد ترين أنها لا تفيد ..

- هذا هو كل شيء ..

- أشكرك .. أرجو أن توقعي على أقوالك ..

وبينما همت علياء بالإنصراف .. قالت للمحقق :

- لقد تذكرتُ شيئاً هاماً .. لا أدري كيف غاب عن بالي .. رغم أهميته ..

- أخبريني به إذن ..

- تذكرت حديث الأستاذة معي حول فتى يدعى رامي حامد عبد الله .. هذا الفتى كان قد سجن في قضية إعتداء جنسي .. وكانت شاهدة

الإثبات الوحيدة في هذه القضية هي الأستاذة أسماء ..

وسجن نتيجة شهادتها .. وهددها بالقتل بعد أن خرج من السجن ..

بل أنه حاول فعلاً أن يقتلها .. فهاجمها بسيارته مسرعاً .. إلا أنها نجت بأعجوبة .. بعد أن ألقت بنفسها على الأرض بعيداً عن مسار السيارة .. وكُسِرت ساقها وقتئذ ..

- إنه أحد أعدائها إذن ..

- أتصور هذا ..

- أشكرك يا دكتورة .. ولا زلت أنتظر منك الكثير من المعلومات .. لا أعرف مصدر ثقتي هذه بأن لديك الكثير .. ولذا أرجو ألا يزعجك اللجوء إليك .. في حالة الضرورة ..

- على الرحب والسعة ..

الفصل العاشر

كانت مديرة المدرسة .. أول من طلب المحقق أن يسألها عن رأيها فيما حدث .. بعد أن دون كل ملاحظاته حول مقتل الطفلة هند .. الضحية .. وعن مسرح الجريمة ..

وتقرير الطبيب الشرعي .. بخصوص سبب الوفاة .. ووقت الوفاة .. الذي جاء به أن الوفاة حدثت في تمام الثالثة والنصف مساء السبت الموافق الرابع والعشرين من سبتمبر ..

كما حوي التقرير أن سبب الوفاة هي الإختناق ..

وتضمن التقرير وجود كدمات محدودة المساحة والسطح .. حول فتحات الأنف والفم .. نتيجة ضغط أنسجة الوجه بأطراف أصابع الجاني .. وبجوارها تظهر سحيجات أظافرية هلالية الشكل .. نتيجة إنضغاط أو إنغراز أظافر اليد في أنسجة وجه الضحية ..

وكانت السحيجات الأظافرية هلالية الشكل .. ترجح أن أظافر الجاني كانت طويلة.. وربما كانت أظافر صناعية ..

.. وتشير إلى أن الأصابع كانت أكثر نحافة من أن تكون لرجل .. أو لرجل نحيف .. أو مراهق لا يتعدى عمره الخامسة عشرة ..

وقد ظهرت هذه السحيجات على الخد الأيمن للضحية .. فإذا كان الجاني قد جاءها من الخلف .. فيكون أعسر ..

كما كانت السحيجات هذه لعدد ثلاثة أظافر فقط .. من أظافر اليد اليسري

للجاني .. ليس من بينها الإصبع الأوسط .. لأن الإحتمال الأكبر هو أن الجاني كان يقف خلف الضحية أثناء عملية الخنق ..

أما الأثر الخاص بالظافر الرابع .. أي الأوسط .. فكان ضعيفاً ..

فإما أن يكون الجاني له أربعة أصابع فقط .. ويكون الإصبع الأوسط مبتور ..أو أن تكون الجانية سيدة .. تستعمل أظافر صناعية .. ربما أنتزع الظافر الصناعي للإصبع الأوسط .. نتيجة مقاومة بسيطة ضعيفة من الضحية .. وهذ الأمر يستدعي إعادة البحث عن ظافر إصبع صناعي قد يكون موجوداً في مسرح الجريمة ..

قد يكون إلى جوار الضحية ..

وقد يكون عالقاً في ثيابها ..

كما قد يكون عالقاً في ثياب الجانية ..

هكذا كان المحقق يفكر ..

كما كان هناك إصابة أعلى رأس الضحية .. بشيء صلب .. بدون وجود آثار للدماء ..

كما تم تفتيش مسرح الجريمة .. ومحيط المدرسة ..

ولا يوجد آثار أقدام .. فقد أفسدت الأمطار آثار الأقدام .. بينما كانت أرضية الحمام مغطاة كلها بالمياة .. نتيجة إغتسال كل الأطفال .. بعد لعبة قتال الألوان ..

وكانت المديرة في حالة يرثى لها .. ولم تكن لتتمالك نفسها .. أثناء

الإدلاء بشهادتها أمام المحقق ..

- منيرة صابر فؤاد .. مديرة المدرسة ..

وقدمت بطاقتها الشخصية للمحقق .. الذي قرأ بياناتها .. باهتمام ..

- هل لديك رؤية لما حدث ؟

- إنه لشيء مريع أن يقتل أحدهم طفلة في عمر الزهور ..

- لماذا تقولي يقتل .. هل تتوقعين أن القاتل رجل ..

- لا أستطيع أن أجزم بذلك .. ولكن بشاعة الجريمة تجعلني أكاد أستبعد أن تقوم إمرأة بارتكاب مثل هذه الجريمة البشعة .. ولو أن كل الإحتمالات واردة .. فبعض السيدات قلوبهن أقسى من قلوب الرجال .. وبعضهن يقتلن الضحايا .. بهدوء .. وبدم بارد ..

- كم عمر الضحية ؟

- إنها فتاة في الثانية عشرة من عمرها ..

- ألا ترين أنها تبدو أكبر من عمرها ؟

- هل تقصد من الناحية الجسدية ؟ ..

- ربما أغرى جسدها أحدهم على الإعتداء عليها ..

- هل يحتوي تقرير الطبيب الشرعي ما يفيد أنها تعرضت للإغتصاب ؟

- ربما حاول أحدهم .. ولما فشلت محاولته .. إضطر لقتلها .. حتى لا تشي به ..

- إذن .. هل هناك توجه .. إلى إعتبار أن الجاني رجل ؟.. واستبعاد احتمال أن يكون الجاني أنثى ؟

- بالطبع لا .. لا استبعاد لأي احتمالات ..

- وهل لديكم أسئلة .. قد يفيد الحديث حولها .. في إماطة اللثام عن لغز الجريمة ؟

- بالتأكيد .. ولكننا لا نقفز إلى النتائج ..

- بالطبع سوف أكون متعاونة .. خاصة أن الجريمة وقعت في مدرستي ..

وأثناء حفلة تحت إشرافي .. بالإضافة إلى أن هذه الطفلة البريئة .. علينا أن نجد القاتل المتوحش .. الذي قتلها بدم بارد .. ونقدمه للمحاكمة العادلة ..

- ألا يتجه تفكيرك إلى شخص معين ..؟

- ممن كانوا متواجدين بالحفل؟

- ومن غيرهم أيضاً .. ربما تسلل أحدهم من خلال المنافذ التي تحيط بالمدرسة .. ولكن دعينا أولاً نتحدث عن الفتيان الذين حضروا الحفل ..

- يوجد إثنان من الفتيان .. الأول .. أمجد وجدي .. في نحو السادسة عشرة من العمر .. وجلال سمير .. في نحو الثامنة عشرة من العمر ..

- أعلم ذلك .. ولديّ بيان بمن كانوا حاضرين بالحفل ..

- كلاهما في عمر المراهقة .. هل تسألهما ؟

- ليس الآن .. سوف أستدعيهما بالتأكيد .. بعد أن أعرف منك كل ما تعتقدين أنه يخدم في إتجاه حل اللغز .. كما سوف أستدعي السيدات .. فليس هناك ترجيحات .. فإذا كان هناك جريمة .. فكل المتواجدون في محيط الجريمة .. متهمون .. حتى تثبت براءتهم ..

- نعم ..

- نعود للضحية .. ما هو إنطباعك الشخصي عنها ؟

- من أي ناحية ؟

- هل كانت فتاة مشاغبة .. هل كانت متعجرفة متكبرة .. تكسب الأعداء ..

و لا تعرف كيف تكسب الأصدقاء .. هل يكرهها الآخرون .. لدرجة الإيذاء البدني .. فربما حاول أحدهم إيذاءها فقتلها دون أن يقصد ذلك .. هل أحد

الفتيان يمكن أن يفعل ذلك ..

- في الحقيقة أن جلال كان قد أتهم في محاولة من هذا النوع من قبل .. ولكنه بُرِّيء منها ..

- كيف ؟ .. هل تقصدين أن القضاء بَرّأه ؟..

- نعم ..

- قد يخرج براءة لعدم كفاية الأدلة .. أو أن الدفاع كان قوياً ..

- ربما ..

- ولكن هذا لا ينفي عنه أنه مضطرب جنسياً ..

- وربما كان ذلك بسبب تعاطيه المخدرات ..

- وماذا عن أمجد ؟

- على حد علمي .. لم توجه له تهم من هذا النوع .. ولكن خارج نطاق الحي .. لا أعرف شيئاً عن سلوكياته ..

- لقد لاحظتُ أن باب المدرسة كان مفتوحاً .. فهل يمكن أن يكون أحدهم من الخارج .. قد تسلل إلى داخل المدرسة .. وفعلها ؟

- هذا إحتمال لا يمكن إستبعاده ..

- إنك تعرفين تقريباً كل سكان الحي .. فهل أحدهم يمكن أن يكون في دائرة الشك ؟ .. أو محل إشتباه ؟

- نعم .. إنه فاروق .. السباك .. وهو شاب سيء السمعة .. رغم أنه حاصل على بكالوريوس تجارة .. ورغم أنه على قدر كبير من الثقافة .. إلا أنه تدرب على أعمال السباكة .. حيث فشل في الحصول على عمل آخر ..

وكان قد أُدين بالفعل في جريمة مماثلة من هذا النوع .. وسُجن .. و هو لا يزال يتعاطى المخدرات .. ويُقال أنه مُدمن ..

- إننا نعرف فاروق جيداً .. وسوف يتم إستدعاؤه ..

- إذن التركيز على الرجال هو سيد الموقف ..

- لا تتعجلي يا سيدتي .. فلا زال أمامنا الكثير لنتحدث حوله ..

- تحت أمرك يا فندم .. لا أستعجل ..

- وماذا عن أسرة الضحية ؟

- من أية زاوية ؟

- ربما كان لديهم أعداء ..

- أليس رأيهم في هذا الشأن .. يكون أكثر دقة مما يمكنني قوله عنهم ؟

- هل تعتقدي أن جريمة الأمس .. وجريمة اليوم .. منفصلتان ؟

- تقصد أن يكون الجاني واحدًا في الجريمتين ؟

- هل ترين أن هذا الإحتمال بعيد ؟

- إنك إذن تعتقد أن هند كانت صادقة فيما تقول !!

- قد تكون الفتاة كاذبة في معظم الأحوال .. ولكن هذا لا يمنع من أن تكون صادقة ولو في مرة واحدة .. فليس معقولاً أن يكون الكاذب كاذباً .. على طول الخط !

- إن هذا يقودنا إلى إفتراض أن يكون الجاني من بين الحضور .. وأنه عندما سمع هند تقول أنها رأت جريمة بالأمس .. كان عليه أن يفكر في قتلها والتخلص منها فوراً .. قبل أن تشي به ..

- خاصة وأنها قالت أنها سوف تخبر الشرطة .. بعد الإنتهاء من الحفل ..

- لقد قالت ذلك ..

- هذا ما يجعل الأمر ممكناً ..

- بل قل هذا ما يجعل الأمر مخيفاً !!

- سوف نسأل الجميع .. على أية حال ..

- لا أعتقد أن الجاني سوف يفلت بفعلته ..

- أشكرك يا أستاذة .. أرجو أن توقعي على أقوالك .. إذا لم يكن لديك ما تضيفينه إلى ما ذكرتيه ..

الفصل الحادي عشر

كانت أم الضحية في حالة إنهيار .. وقد بكت حتى جفت الدموع في مآقيها .. فقد كانت إبنتها تلعب حولها مع باقي الفتيات .. منذ دقائق فقط .. كانت السعادة تجمعهم جميعاً .. والآن .. عليها أن تعود إلى بيتها .. بدون طفلتها .. التي سلبها منها أحدهم في غمضة عين .. بلا رحمة .. قال لها المحقق .. في نبرة ألم :

- نحن نأسف على هذا الحادث المؤلم .. ولكن دعينا نكثف جهودنا جميعاً .. من أجل كشف هذا الغموض .. الذي يغلف هذه الجريمة .. ونعدك أن نقدم الجاني .. إلى المحاكمة .. للقصاص العادل منه ..
- إنه أمر فظيع على الأم أن تري إبنتها مقتولة ..
- نحن نقدر ذلك .. ونقدم لك أصدق التعازي ..
- أشكر لطفك ..
- هل لديك أدنى فكرة عن الجاني ؟
- ومن أين لي أن أعرف .. لا أستطيع أن أتصور أن واحداً من سكان هذا الحي يقدم على عمل وحشي كهذا .. وأعتقد أن الجاني رجل فظيع من الخارج .. تسلل من خلال الباب المفتوح .. ربما يكون قد تناول المخدرات قبل أن يتسلل إلى المدرسة .. ويرتكب فعلته الدنيئة ..
- هل أنت واثقة أن الجاني رجل ؟
- لا بد أن يكون القاتل رجلاً .. أنا واثقة من ذلك .. لا يمكن أن تكون

إمرأة ..

هل يمكن؟ ..

- قد تكون إمرأة قوية ..

- أنا واثقة أن أية إمرأة لا تفعل شيئا كهذا .. لقد كانت هند مجرد طفلة في الثانية عشرة من عمرها ..

- سوف نبذل كل ما بوسعنا ..

- أرجوكم .. نريد القصاص ..

- هل لديكم أعداء في الحي ؟

- أبداً .. نحن نعيش مع الجيران في أمان وسلام .. ولا عداوات مع أحد ..

- هل من أشرار في الحي .. فقد يسيء البعض إلى الآخرين .. بدون سبب واضح .. وبدون عداوة .. حيث علينا أن نفكر في أحد المراهقين الأشرار ..

فهناك باب مفتوح .. وهناك فتيات تجري وتمرح .. وأصواتهن لا شك تصل إلى خارج أسوار المدرسة .. وقد يغري ذلك أحد المراهقين للتسلل إلى الداخل من أجل العبث ..

- لقد حدث شيء غريب اليوم .. ربما كان له لديك أية أهمية ..

- أية تفاصيل صغيرة .. قد تفيد كما لم تتصوري .. أخبريني بها ..

- لقد قالت أنها شاهدت جريمة قتل أمس .. فقلت لها إنك تتخيلين

الأشياء ..

وأصرت .. بينما رفض الجميع تصديقها .. وقوبلت من الجميع بسخرية مما أثار غضبها ..

- ألم تذكر تفاصيل .. أو أسماء ..

- كلا .. ولكنها كانت غاضبة .. لأن الفتيات ضحكن منها .. بينما كانت الأمهات ينظرن إليها بامتعاض ..

- وماذا كان رد فعلك .. مع إصرارها ؟

- لقد سألتها .. لماذا لم تقولي لي هذا من قبل .. فقالت كنت خائفة .. وكنت سوف أقول لكِ بعد الحفل .. لإبلاغ الشرطة ..

- ربما كانت تقول الصدق .. لماذا لم تحتملي هذا ؟

- هل تعني أنها ربما كانت شاهدة على وقوع جريمة ؟

- كل شيء ممكن ..

- إن هذا الإحتمال يفتح أبواباً كثيرة ..

- معنى هذا أن أحد المدعوين إلى الحفل .. كان هو مرتكب الجريمة .. وأنه سمع الفتاة تقول أنها رأت الجريمة ..

وصمت لحظات .. فقد ومضت فكرة في خياله ..

وأردف قائلاً :

- هل تقولي أنها رأت الجريمة أمس ؟

- نعم .. أمس .. هذا ما ذكرته ..

- إذن يمكن أن يكون الشخص الذي قتلها بينكم .. ولم يُرِد أن يضيّع الوقت ..

- وهو ما يوحي أنها لم تكن تعرف القاتل .. ولم تكن قد رأت وجهه .. .. وإلا لما ذكرت القصة في حضوره .. ولأظهرت الخوف منه .. ألم تكن لتشير إليه .. وتشي به ؟

- هذا مؤكد ..

- أي أنها رأت جريمة .. ولكنها لم تر وجه القاتل ..

- لقد قالت أنها رأت سيدة .. تقتل سيدة أخرى .. بينما كانت هي تتخفى وراء الستارة ..

- و قد يكون ذلك الشخص الذي سمع الإتهام .. يعرف شيئاً عن الجريمة ..

أو يعرف مرتكبتها .. وهو على صلة وثيقة بالقاتلة .. وقد يكون هذا الشخص على علم بأن زوجته هي القاتلة .. أو لعلها تكون إمرأة .. تعرف ما إرتكبته أمها .. أو أختها .. أو إبنتها ..

- شخص لم يكن يعرف أن إنساناً أخر يعلم بهذا السر .. وعندما تكلمت هند .. كان لا بد من قتلها .. وبسرعة .. علينا إذن أن نبحث عن سيدة .. إرتكبت جريمة قتل أمس .. ولم تكن تعلم .. أو تتصور أن الجريمة ستكتشف ذات يوم .. مما سبب لها صدمة عنيفة ..

وصمت المحقق لبضع ثواني .. ثم بدا أنه تذكر شيئاً هاماً .. فقال :

- ولكن ..لا .. لا .. لم يحدث .. لم يحدث أن رأت هند جريمة أمس ..

- أرجوك .. وضح ..

- لم يحدث في هذه المنطقة .. أو هذا الحي .. أية جرائم قتل .. أمس .. إلا جريمة قتل السيدة أسماء .. ولقد قمت بمعاينة بيت السيدة أسماء .. ولم يكن مسرح الجريمة به أية ستائر .. فكيف تقول أنها رأت الجريمة بينما كانت تتخفى وراء الستارة .. وأية ستارة ؟ .. لم يكن هناك ستائر في المكان بالمرة ..

- ثم كيف لها أن تذهب بمفردها إلى بيت السيدة أسماء أمس ؟.. ولماذا تذهب إلى هناك ؟ ..

- ألم تطلب منك الإذن أمس بالذهاب إلى أي مكان بمفردها ؟

- كلا .. لم يحدث ..

- إن هذا يهدم البناء الذي تحمسنا له ..

- إن قصتها خيالية إذن !

- إننا ندرس كافة الإحتمالات .. ولا زال عندي سؤال ..

- وما هو ؟

- متى وقعت الجريمة ؟

- لقد وقعت الجريمة أثناء الإنشغال بإعداد أماكن الأكل والطاولات .. لتناول الغداء .. وإستلام الشطائر والكيك والجاتوه وزجاجات المياة .. والأكواب .. و كانت الساعة تشير إلى الثالثة والنصف مساءً ..

وقدم المحقق لها زرار بني كبير .. يرجح أنه زرار جاكت رجالي ..كان قد تم العثور عليه في مسرح الجريمة .. إلى جوار الجثة .. وسألها :

- هذا الزرار .. ألا يذكرك بشيء ؟ .. ألم ترينه من قبل ؟ ..

- لا .. لم أره من قبل .. واضح أنه زرار جاكت رجالي .. فهل يعني ذلك أن الجاني رجل ؟

- ليس بالضرورة .. فقد يكون الجاني أنثى .. وألقت هذا الزرار إلى جوار الجثة للتمويه .. وتوجيه أنظار العدالة في إتجاه البحث عن قاتل رجل ..

ثم توجه إليها بالشكر و الإمتنان ..

- إذا لم يكن لديك ما تضيفينه .. أرجو أن توقعي على أقوالك .. ونشكرك ونقدر ما أنتِ فيه من محنة عظيمة .. ولن نألو جهداً لكشف هذا الغموض الذي يغلف الجريمة ..

- ولو أن هذا لن يعيد إلينا طفلتنا .. ولكنني أرجوك أن تلقي القبض على هذا المجرم .. فلن يرضينا إلا القصاص ..

وإستدعى المحقق السيدة ليلى مجدي.. التي إسترعى جمالها نظره .. وكان مظهرها يشي بمستوى عالي من الثراء ..

وقدمت نفسها إليه ..

- ليلى مجدي محمود المليجي .. محامية ..

وقدمت له بطاقتها الشخصية .. فنظر إلى البطاقة وكأنه قرأها قراءة

عابرة .. ثم وضعها على مكتبه .. وهو يسألها :

- تعملين محامية إذن يا سيدة ليلى .. أستطيع أن أتوقع أن لك عملاء كثيرين ..

فابتسمت ليلى .. وقالت بتواضع :

- ليس تماماً .. فلا زال الوقت مبكراً .. أن أدّعي أنني محامية شهيرة ..

- هل تقيمين في نفس الحي الذي أُرتُكِبتْ فيه الجريمة ؟

- نعم .. أقيم في الفيلا الملاصقة للمدرسة .. وأشارت بيدها إلى فيلتها ..

- هل لكِ أطفال بالمدرسة ؟

- ليس لي أطفال بعد ..

- أين يقع مكتبك ؟

- لا أخفي عليك أنني محامية على الورق .. حتى الآن .. فلم أقرر بعد أن أزاول المهنة .. أو أن أفتح مكتباً للمحاماة ..

- إنكِ مدعوة لحضور الحفل .. أليس الحفل لأولياء الأمور .. وأبنائهم .. لتكريم المتفوقين ؟

- بلى .. ولكنني ضيفة شرف ..

- منذ متى تقيمين بالحي ؟

- ليس كثيراً .. بضعة أشهر فقط ..

- ما رأيك فيما حدث للضحية المسكينة ؟

- إنه شيء بشع .. لا أدري كيف طاوعته نفسه .. ذلك المجرم

المتوحش..

أن يقتل طفلة بريئة مثل هند .. في عمر الزهور ..

- لماذا تتحدثين عنه .. وكأنكِ موقنة أنه رجل ؟

- وهل تفعل ذلك إمرأة ؟

- من النساء من هي أكثر وحشية من الرجال ..

- بحكم وظيفتكم .. عليكم عدم ترجيح أية إحتمالات .. حتى تصلوا إلى اليقين .. وإكتشاف الحقيقة ..

- هل تعرفي شيئاً عن الأشخاص الذين حضروا الحفل ؟

- فقط المديرة .. والدكتورة علياء .. إلا أنني تعرفتُ على الباقين ممن حضروا الحفل .. قبل بداية الحفل مباشرة ..

- وأسرة الضحية ؟ ..

- بلى .. كانت أول مرة أتعرف عليهم .. قبل بداية الحفل .. بدقائق ..

- هل ترجحين أن الجاني من الحضور .. أم من الخارج ؟

- ربما جاء شخص مضطرب جنسياً من الخارج .. وتسلل من الباب .. فقد كان الباب مفتوحاً طوال الوقت .. وربما كان قد تعاطى مخدرات قبل أن يقتحم المدرسة .. ويفعل فعلته الدنيئة ..

- إذن ترجحين أنه رجل .. وأن القتل كان بدافع الجنس ..

- وربما بدافع السرقة ..

- لكي يسرق ماذا ؟

- تقول المسكينة أم الضحية .. أن إبنتها كانت تعلق سلسلة ذهبية حول رقبتها .. وفي أذنيها قرط ذهبي أيضاً ..

- وهل يقتحم أحدهم مدرسة .. لكي يسرق ؟

- وهل يقتحمها أحدهم .. بدافع الجنس ؟

- هناك دوافع أخرى .. للجريمة .. مثل القتل بدافع الإنتقام .. سواء الإنتقام من الضحية نفسها في شخصها .. أو الإنتقام من أسرتها .. في شخص إبنتهم ..

- أو القتل للثأر ..

- كيف حدث أن تربص بها الجاني .. حتى ذهبت إلى الحمام .. وذهب خلفها إلى الحمام .. دون أن يراه أحد ..

- يبدو أنه قد تربص بأية فتاة .. تذهب إلى الحمام .. حتى ينفرد بها هناك .. فكان قدر هند أن تكون هي الضحية ..

- وكيف لم يسمعها أحد تستغيث ؟ .. أليس من الغريب أن يهاجمها أحدهم .. فلا تجري هرباً .. ولا تطلب المساعدة .. ولا تستغيث ..!!

- ربما باغتها .. و ربما كان معروفاً لديها .. فلم تشعر بالخوف منه .. ولم تطلب المساعدة من أحد .. ولم تستغث .. لعلمها أنه لن يؤذيها ..

- هذا يدل على أن الجاني إمرأة ..

- كيف ..

- إذا كان الجاني من الحضور .. إمرأة بالتحديد .. فلن تهرب منها ..

ولن تخشى أذيتها .. ولن تصرخ .. بل ستكون مطمئنة إليها .. وربما داعبتها في مودة .. فإذا بها تباغتها بضربة فوق رأسها .. بشيء صلب .. ضربة أفقدتها إتزانها .. ومن ثم .. وقبل أن تفيق من المفاجأة .. أسرعت المرأة بخنقها .. ويمكن لكل ذلك أن يحدث في ثواني ..

- إنه سيناريو محتمل الحدوث .. يمكن التفكير فيه على أنه أحد الإحتمالات .. ولكن ربما لا يكون هو السيناريو الوحيد المحتمل ..

- علينا أن نفكر أيضاً في الشيء الصلب .. ماذا عساه أن يكون ؟

- ربما قطعة حديد .. كان الجاني يحتفظ بها معه .. لمثل هذا الغرض ..

- كلا .. لم تكن قطعة من الحديد ..

- ولماذا ؟

- لو كانت أداة الجريمة قطعة من الحديد .. لسالت الدماء حتى غطت الأرض ..

- ماذا تتوقع إذن ؟

- هل تسمحي لي ..

ومد المحقق يده فجأة .. فأخذ الحقيبة التي كانت تحملها في يدها .. وأخذ يتحسسها .. لكي يعرف مدى صلابتها .. أم هي لينة .. ومصنوعة من الجلد مثلاً ..

ثم قال لها .. وهو يركز عيناه على عينيها .. لكي يدرك رد فعلها ..

- لو كان الجاني معه حقيبة يد مثل هذه .. لكانت تفي بالغرض .. فهي صلبة بما يكفي لأن تُفْقِد طفلة مثل هند توازنها .. من أول ضربة تصيب رأسها ..

وإبتسمت ليلى .. وهي تقول له في نبرة هادئة باردة ..

- الحمد لله أنها لم تكن معه .. وربما تهتدي إلى شيء آخر.. يفي بالغرض ..

قال المحقق وهو يقلب الحقيبة .. ويمعن النظر في أسفلها .. الذي يعتبر هو أصلب جزء في الحقيبة ..

- ولكانت شعرة .. أو جزء من الشعرة .. قد علقت بالحقيبة .. من أثر الضربة ..

- كل هذا لا يجافي المنطق .. ويمكن حدوثه ..

- فإذا كان الجاني ذكي .. ولا يرغب في أن يترك لنا أية دلائل .. قد تشير إليه .. أو تدل عليه .. ماذا كان عليه أن يفعل ..

- لقد إعترفت لك أنني محامية مستجدة .. محامية فقط على الورق .. لم أكتسب بعد الخبرة العملية في حل مثل هذه الألغاز ..

- أستشعر أثر الماء على حقيبتك يا سيدة ليلى .. فهل غسلتيها ؟

- كلا .. فقد غسلتنا كلنا مياة الأمطار .. وبللت ثيابنا ..

- ليس من الصعب أن يتوقع من يشاهدك .. أنك ثرية جداً يا سيدة ليلى ..

- الحمد لله .. فأنا ميسورة الحال ..

- ولا يناسب مظهرك الأرستقراطي .. أن تخرجي من بيتك .. حاملة في يدك حقيبة يد .. كانت قد إصطدمت بشيء .. أو وقعت على الأرض .. فأصابها الإنبعاج ..

- أرجو أن تعذرني .. إذا كنت لا أفهمك !!

- لو كانت هذه الحقيبة قد سقطت منكِ من قبل .. أو إصطدمت بشيء فانبعجت .. لما خرجتِ بها اليوم .. بل لألقيتِ بها في القمامة .. أو ربما لتصدقتِ بها ..

- لا زال عليّ أن أفهم ما ترمي إليه ..

- لا أرمي إلى شيء .. فقط أشير إلى إنبعاج واضح في أسفل حقيبة يدك .. فهل هذا الإنبعاج حديث ؟

- ربما لم يلفت إنتباهي إنبعاج في حقيبة يدي .. ولو كنت قد رأيته يوم أن حدث .. لما حملتها معي اليوم ..

- هل تسمحي لي بإرسالها إلى معمل التحليل الجنائي ..

- لقد أخذ الحديث إذن إتجاهاً .. يصعب عليّ فهمه ..

- تعلمين أنه مجرد إجراء إحترازي .. فعندما يكون هناك جريمة قتل .. فإن كل الأشخاص المتواجدين في محيط مسرح الجريمة .. هم أشخاص مشتبه بهم .. وبلا إستثناء .. حتى تثبت براءتهم .. ولا أشك في أنك ممن يساعدون على إماطة اللثام عن ألغاز القضية ..

- بلى .. والحق معك في كل ما تقول .. فهل لي في بعض الأشياء الموجودة بداخلها ؟ ..

- يمكنك أن تأخذي منها الأوراق التي قد تكون بداخلها .. فقط الأوراق .. وأيضاً المفتاح ..

- ولماذا لا أحصل على كل ما بداخلها ؟ ..

- لا يخفى عليك يا سيدتي .. أن الوزن عامل هام جداً .. في تقدير قوة الضربة .. التي هوت على رأس المسكينة .. الضحية .. والتي قد تؤدي إلى إنبعاج الحقيبة .. بسبب وقوعها بين قوة الضربة .. وقوة المقاومة من رأس الضحية ..

- لم يبق إلا أن توجه لي الإتهام بصورة مباشرة ..

وبدأت ليلى تنظر إليه بقلب منقبض ..

وسألها .. بينما كان يتفحصها بعين ثاقبة ..

- هل تستعملين أظافر صناعية ؟

- أحياناً ..

- الآن مثلاً ..

- نعم ..

- هل أنتِ عسراء ؟

- إنني أستعمل كلتا اليدين .. ولكن ربما كانت يدي اليسرى أقوى ..

- هل يمكنني إلقاء نظرة على يدك اليسرى ؟

- ها هي ..

قالت ليلى ذلك .. وهي تمد يدها اليسرى للمحقق .. بناء على طلبه ..

- هذه الأظافر .. هل هي صناعية ؟

- بلى ..

وشعرت فجأة بنظراته تلسع وجهها ..دون مقدمات ..

وقال لها بنبرة جامدة .. فيها جفاء ..

- الإصبع الأوسط .. ليس به ظافر صناعي ..

- ربما نسيته .. أو ربما سقط .. في البيت .. بينما كنت أفعل شيئاً ..إن هذا كثيراً ما يحدث .. وليس غريباً أن يسقط ظافر صناعي من أية إصبع ..

وكان إحساس سيء قد بدا على ملامحها .. كما بدأ قلبها يغوص في أعماقها

دون أن تدري لذلك سبب واضح ..

وتفكر ملياً .. ثم قال :

- قد نحتاج إليكِ .. فلا تسافري إلى أي مكان دون إخطاري ..

وشعرت بارتياح .. فقد تخلصت منه .. ومن نظراته الملتهبة .. على الأقل .. في الوقت الراهن .. حتى ولو كان يفكر في استدعائها مرة أخرى فيما بعد ..

قالت وهي تنهض ..

- حاضر يا فندم ..

الفصل الثاني عشر

كان المحقق خالد البهنساوي يرى أن الجريمتين اللتين وقعتا يومي الجمعة والسبت .. الثالث والعشرين .. والرابع والعشرين .. من شهر سبتمبر هما جريمتان مرتبطتان .. وأن الجاني واحد ..

أما المحقق مدحت عبد الله فكان لا يتحمس لهذا الإتجاه في سير التحقيقات .. بناءًا على التحريات .. والتحقيقات .. التي أشارت إلى كذب الفتاة الضحية بخصوص رؤيتها للجريمة التي وقعت يوم الجمعة .. والتي بناءًا على هذه الكذبة .. تم الربط بين الجريمتين .. حيث يرى المحقق خالد أن الجاني قتل هند .. خوفاً من أن تشي به ..

وذلك رغم أن المحقق خالد بنفسه .. هو من عاين مسرح الجريمة الأولى .. ولم يكن هناك ستائر .. في مسرح الجريمة .. مما يؤكد كذب هند ..

ولكن لم يؤثر هذا الإختلاف في وجهات النظر .. في مدى التعاون بين المحققَين في الكشف عن غموض الجريمتين ..

وأمام المحققَين .. جلس مراد .. الذي كان عليه أن يجيب على الأسئلة في دقة .. وصدق .. لأنه كان يواجه موقفاً دقيقاً .. كونه المستفيد الأول من وفاة الضحية أسماء ..

- مراد محمد جلال الدين .. واحد وثلاثون عاماً .. أقيم في مساكن النويري ..

- عليك أن تجيب على الأسئلة الموجهة إليك بدقة .. وفي حالة الكذب .. فسوف أجعلك تندم على عدم الصدق معي في القول ..
- صدقوني .. سوف أكون صادقاً .. ولا يوجد ما يدعوني للكذب ..
- ماذا تعمل ؟
- لقد كنت أعمل في مصنع الفيوم للغزل والنسيج .. قبل أن يحيلوني للتقاعد المبكر ..
- والآن .. ماذا تعمل ؟
- لا شيء .. رغم محاولات البحث عن عمل .. بلا جدوى ..
- هل أنت متزوج ؟
- نعم .. ولديّ ولد .. وبنت ..
- وزوجتك .. هل تعمل ؟
- إنها ربة منزل ..
- وكيف تدبر نفقات البيت .. والأطفال .. والزوجة ..
- تعلمون سيادتكم صعوبة الحياة .. وقلة الدخل .. وأنا مثل الكثيرون .. نعيش في ضيق .. ومعاناة .. وليست حياتنا سهلة ..
- هل تعرف السيدة أسماء جلال الدين ؟
- نعم .. إنها عمتي .. فأنا إبن أخيها الشقيق .. محمد جلال الدين ..
- متى كانت آخر مرة رأيت فيها السيدة أسماء ..
- نفس يوم الوفاة .. ولكن في الساعة العاشرة صباحاً..

- هل كانت الزيارة روتينية .. أي عادية .. أم هي من طلب منك زيارتها ؟

- لقد إصطحبتُ معي السباك .. بناء على طلب من عمتي .. السيدة أسماء

.. رحمها الله .. فقد كان الصرف الصحي لديها يحتاج إلى الصيانة .. وأيضاً السخان .. وهو سخان يعمل بالغاز ..

- ما إسم هذا السباك ؟

- إسمه فاروق .. فاروق شعبان عبد المنعم ..

- ولماذا هذا السباك بالذات ؟

- سباك شاطر .. وكانت ترضى بنتيجة عمله .. وتثق في خبرته ..

- وأنت .. كيف كانت علاقتك بالضحية ..

- كانت تنفق على أولادي .. وكانت تقدم لي يد العون والمساعدة ..

- هذا من جانبها .. فماذا تقول عن علاقتك بها .. من جانبك ..

- إنها عمتي .. وتُحسِن على أولادي .. فمن الطبيعي أن يكون لها عندي قدر كبير من الإحترام والمودة والحب ..

- المعلومات عندي تقول غير ذلك ..

- إنها دكتورة علياء إذن .. لقد سمعتني ألعن كل النساء .. في ساعة غضب .. من منا لا يغضب ..

- تمنيت الموت لكل النساء ..

- لكل النساء .. وليس لعمتي بصفة خاصة .. تمنيت لهن الموت .. وليس القتل ..
- هل إختلف السباك مع السيدة أسماء على الأجر ؟
- إنه يحب العمل لديها .. لأنها كانت تعطيه بسخاء ..
- ألا يزال مدمناً ..
- نعم ..
- ولكن المدمن يحتاج إلى النقود دائماً ..
- ولكنه لم يطلب منها نقود إضافية ..
- ربما لا يطلب ما يحتاجه من نقود .. بل يأخذه ..
- تقصد يسرقه ؟
- نعم .. لقد كان الصوان مكسورًا .. وصندوق مجوهرات مُلقاً على الأرض .. وكل الملابس مُلقاة أيضاً على الأرض .. بما يؤكد أنه كان هناك عملية تفتيش .. وبحث .. عن نقود .. أو أشياء أخرى ثمينة .. ربما كانت السيدة أسماء تحتفظ بها في مكان ما ..
- لم يعرف عنه من قبل أنه يسرق .. ولم يضبط في جريمة سرقة واحدة ..
- ربما ليس لأنه لم يسرق .. بل ربما لأنه حريص .. ويخطط جيداً .. وينفذ جيداً .. فلم يتم القبض عليه .. واكتشافه ..
- إنني أعرفه منذ زمن بعيد .. وأعرف أنه لم يسرق .. وبالتأكيد

لم يقتل .. ولا تنس سيادتك أن السيدة أسماء كانت عمتي .. فكيف يقتل عمتي .. التي طالما أحسنت إليه ..

- حتى لو طلبتَ أنتَ منه ذلك ؟! .. وعاونته ؟!

- أنا يا فندم أقتل عمتي ؟! .. ولماذا؟

- هناك الكثير من الأسباب ..

- ليس هناك سبب واحد .. يدفعني إلى قتل عمتي .. ولا غير عمتي ..

- ألا تمر بضائقة مالية شديدة ؟ ..

- يا فندم ليس كل من يعاني ضائقة مالية شديدة بسارق .. أو قاتل ..

- إنني أعلم أنك أنت المستفيد الوحيد من وفاة عمتك .. أليس كذلك ؟

- تقصد سيادتك الميراث ؟

- إنها ثروة كبيرة .. في إنتظار الوارث ..

- هذه الثروة سوف تؤول إليّ .. إن آجلاً .. أو عاجلاً .. وإذا قتلت عمتي فسوف أكون أول المشتبه بهم .. وقد لا أستطيع أن أدافع عن نفسي .. أمام القضاء .. أو يخسر أي محامي قضيتي .. وأسجن .. أو حتى أعدم .. فأخسر عمتي .. وأخسر آخرتي .. وأخسر ثروة كانت سوف تفيدني وتفيد أسرتي .. فأنا الخاسر على كل المستويات .. أي أن كوني الوارث الوحيد .. إنما هو شاهد نفي .. وليس شاهد إثبات ..

- ولكن بعد أن فكرتَ أنتَ هكذا .. وإعتقدتَ أن الجميع سوف يقولون ما

قلتَ أنت .. فيمكنك أن تفعل فعلتك .. وأنتَ مطمئن أنه لا أحد سوف يشكّ فيك .. فقد أصبحت هذه الفكرة مرة أخرى.. هي شاهد إثبات .. وليست شاهد نفي .. كما تعتقد ..

- على الأقل هي ليست دليل إدانة ..

- لا تقلق على أدلة الإدانة .. فهذه مهمتنا .. الحصول على أدلة\ الإدانة .. الدامغة ..

- يا فندم لا أقصد التدخل في عملكم .. ولكنني أقصد أنني لا يمكن أن أقتل عمتي ..

- عندما كنت تزور عمتك .. أقصد السيدة أسماء .. من كان يفتح لك الباب .. هل هي التي كانت تفتح لك الباب .. أم أنه لديك مفتاح ..

- لم يكن لديّ مفتاح قط لبيت عمتي ..

- هل تشكّ في أحد .. ربما قام بقتل الضحية ؟

- لم أكن أعرف أن لعمتي أعداء ..

- لم تكن تعلم أن رامي حامد عبد الله .. هو عدو ظاهر لعمتك .. وقام بتهديدها بالقتل .. أكثر من مرة ..

- مجرد تهديد .. لقد كان ذلك منذ فترة طويلة .. ولو كان رامي يرغب حقيقة في قتل عمتي .. لقتلها منذ زمن طويل ..

- هل هو صديقك ؟

- كلا ..

- فلماذا تدافع عنه ..

- يا فندم .. إنني فقط أقول الحقيقة ..

- ربما يكون هناك إحتمال أن الجاني لم يقتل بسبب العداء .. ربما بسبب السرقة .. فلما إكتشفت هي أمره .. إضطر أن يقتلها .. حتى لا تدل عليه .. أو تبلغ عنه .. وتشي به ..

- لا أعرف ..

- وفاروق السباك .. ألم تره بعد الحادث ؟

- كلا ..

- وأنت يا مراد .. أين كنت .. وقت وقوع الجريمة ؟

- لقد علمت أن الجريمة وقعت في نحو الساعة الثالثة وخمسة وعشرين دقيقة .. من مساء يوم الجمعة ..

- ممن علمت ؟

- الجميع يتحدثون ..

- فأين كنت ؟

- لقد كنت مع زوجتي .. فهي معتادة أن تزور أمها وأبيها كل يوم جمعة ..

- ربما كانت هذه شهادة ضعيفة ..

- شهدت الزيارة وجود الكثير من الجيران .. ففي شارعنا .. الجيران يجتمعون في بيت أحدهم .. ويتسامرون ..

- كم مقاس حذاءك يا مراد ..

- إنه مقاس أربعة وأربعين ..

- هل تستعمل يدك اليمنى .. أم أن يدك اليسرى أقوى ؟

- إنني أيمن يا فندم ..

- وصديقك .. السباك .. أهو أيضاً أيمن .. أم أنه أعسر ؟

- إنه أعسر يا فندم ..

- هل هناك بعض التشوهات في يده ..

- نعم .. إن له أربعة أصابع فقط .. فقد تم بتر أحد أصابعه في حادثة عمل منذ سنوات ..

- أيِّ من أصابعه ؟

- أصبعه الأوسط ..

- إنه مضطرب جنسياً .. فكيف تصادق شخصاً مثله ..

- يا فندم ما أكثر المضطربون جنسياً من شبابنا ..

- حسب إعتقادك يا مراد .. ما السبب ؟

- البطالة يا فندم .. وارتفاع سن الزواج .. والكبت .. وغلاء الأسعار .. ونضيف إلى كل ذلك .. ارتفاع المهور .. وارتفاع تكاليف الزواج ..

- وماذا عن المخدرات ؟

- الجميع يعلم يا فندم أن انتشار تعاطي المخدرات صار أمراً واقعاً ..

- وهو سبب مباشر لإرتكاب الكثير من الجرائم ..

- هذا مؤكد يا فندم ..

- هل كانت عمتك تحتفظ بالمجوهرات في صندوق بالصوان يا مراد ؟

- والله يا فندم لا علم لي بشيء من هذا ..

- هل تعلم يا مراد مقاس حذاء فاروق السباك ؟

- يا فندم .. لو علمت أن فاروق ليس لديه حذاء .. لما سألت هذا السؤال !

واتسعت شفاة المحقق عن ابتسامة لم يستطع أن يخفيها .. وسأل :

- ماذا يرتدي إذن ؟

- إنه يرتدي " شبشب " يا فندم طوال الوقت .. وفي كل مكان ..

وضحك المحقق .. وهو يقول له :

- وقع على أقوالك يا مراد .. وإعلم أننا قد نحتاج إليك ..

- تحت أمرك يا فندم في أي وقت ..

الفصل الثالث عشر

على عكس مراد .. كان فاروق يرتجف .. عندما إستدعي لقسم الشرطة ..

- فاروق شعبان عبد المنعم .. إثنان وعشرون عاماً .. أقيم في مساكن الكيمان ..

- ماذا تعمل يا فاروق ..

- سباك يا فندم ..

- ماذا رأيك في إرتفاع الأسعار هذه الأيام ..

- إن التجار جشعون .. ولا أحد يحاسبهم ..

- كم وصل ثمن الكيلو من اللحوم ؟

- لا أعرف يا فندم .. أسمعهم يقولون أن كيلو اللحمة .. قد تعدى المائة جنيه ..

- كيف لا تعرف ؟ .. ألا تشتري لحمة ؟

- بصراحة لأ يا فندم ..

- منذ متى ؟

- لا أذكر .. تقريباً من يوم العيد .. لقد مضى وقت طويل منذ أن أكلت لحمة ..

- ألا تعمل سباكاً ..

- بلى ..

- ألا يدرّ العمل عليك دخلاً جيداً ..

- كان ذلك قبل أن أدخل السجن ..

- لقد أخطأت يا فاروق .. وكان لا بد أن تعاقب ..

- ولكن عقاب الناس أشد ..

- كيف ؟

- إنهم يعاقبونني بعد أن خرجت من السجن .. فلا يستدعيني أحد لصيانة منزله .. فالسجن لم يغسل سمعتي .. وأخباري السيئة سرعان ما إنتشرت .. مثل أي أخبار سيئة .. فالأخبار السيئة تنتشر سريعاً .. حيث يتداولها الناس في الصباح والمساء .. حتى بات الناس يتجنبونني ..

- وكيف تدبر أمر معيشتك .. ونفقاتك ؟

- لن تخلو الدنيا من الرحماء .. فالبعض يسامح .. والبعض يغفر .. والبعض يمنح فرصة أخرى ..

- وهل حاولت الإستفادة من هذه الفرصة الأخرى ؟

- نعم .. وإلا لهلكت .. فأنا الآن إنسان سوي .. أو أحاول أن أكون سوياً ..

- وماذا إذن عن علاقاتك النسائية ؟

- أية علاقات يا فندم ؟

- ألم تعد تعتدي على إحداهن .. أو تتحرش بالأخرى ؟

- لم يحدث أبداً .. بعد خروجي من السجن ..

- ولا سرقة ؟

- ولا سرقة ..

- وماذا عن السيدة أسماء ؟

- بعد أن أصلحت لها ما كان يحتاج إلى صيانة .. لم أرها .. وكان معي مراد .. إبن أخيها .. يوم الجمعة ..

- وأجزلت لك العطاء ؟

- بلى .. كعادتها معي .. فهي صاحبة فضل لا أنساه ..

- كم كانت الساعة ؟

- لا أعرف على وجه الدقة .. ربما كان الوقت هو العاشرة صباحاً .. تقريباً..

- وكانت السيدة أسماء قد قتلت في المساء ..

- إننا لم نستغرق ساعة زمن .. ثم غادرنا ..

- ربما كانت لديكم خطة .. للمساء ..

- تأكد سيادتك أنني لا أرتكب أية حماقات الآن .. فلقد إستوعبت الدرس .. حتى أنني أفكر في هجر هذا الحي .. بل المدينة كلها .. وأنتقل إلى مدينة أخرى .. حتى أستطيع مزاولة عملي .. بعيداً عن مطاردة الماضي ..

- كم مقاس حذاءك يا فاروق ..

- إنه إثنين وأربعين .. ولا أخفيك سراً يا فندم .. أنه ليس لديّ حذاء !!

- لقد لا حظتُ أن لك أربعة أصابع فقط .. في يدك اليسرى .. والخامس نصفه مبتور ..

- نعم .. إنه حادث عمل .. منذ زمن طويل ..

- فهل أنت أعسر؟

- نعم ..

- ألا يراودك الشك في أحدهم .. ربما قتل الأستاذة أسماء ؟

- بلى !

- من؟

- نصف الشباب !!.. إن نصف الشباب لا يجدون عملاً .. وهم مؤهلون للقيام بأعمال السرقة .. وخطف حقائب الفتيات .. والسيدات .. ومعظمهم يتعاطون المخدرات .. ويحتاجون إلى المال .. فأيضاً المخدرات مرتفعة الثمن ..

- أريد إسماً .. أو أكثر من إسم .. يحتمل أن يكون هو الجاني ..

- ربما لو تذكرت أحدهم .. سوف أخبرك به ..

- وفتاة المدرسة .. ضحية يوم السبت .. ماذا تعرف عن هذه الجريمة ؟

- لقد علمتُ أن جلال سمير .. كان من بين الحضور ..

- وماذا عنه ؟

- يشعر الجميع أن المديرة أخطات في دعوته هو وأسرته ..

- ولماذا هذا الفتى بالذات ؟

- لقد أتهم في جرائم من هذا النوع من قبل .. جرائم الإعتداءات الجنسية .. على الفتيات .. المراهقات .. بصفة خاصة ..

- ولكنه بُرّيء منها .. المحكمة بَرّأتهُ ..

- إذا كان الجاني أكثر ثراءً من الضحية .. كان ألحقّ في جانب الجاني !

- أنا معك في أن الحق في جانب الثري .. ولو كان مذنباً .. ولكن القضاء يحكم بالأوراق .. وبالشهود .. وليس بمقدار الثراء ..

- نعم .. والثراء يشتري المحامي .. والأوراق .. والشهود .. حتى أنه أحياناً .. ما يشتري الضحية !

- الضحية ؟

- بلى .. ألا يتنازل الكثيرون من الضحايا .. تحت أقدام الجاني .. الذي يملك المال ..؟!

- ولكن جلال سمير كان .. ولا شك .. تحت أعين الجميع .. هو .. وأيضاً الضحية .. وكان تحت مراقبتهم .. وبالذات الأمهات .. كن يعرفن أنه فاسد ..

- لو كانت الضحية تحت أعين الجميع .. لما حدث .. ما حدث ..

- على الأقل هو كان تحت الأعين ..

- على العكس من ذلك ..

- كيف ؟

- لقد وفروا له فرصة التواجد المشروع بينهم .. بدون محاولة التسلل إلى الداخل .. سواء بالدخول من الباب .. أو بالقفز من فوق الأسوار .. إذا لم يكن الباب مفتوحاً .. ولم يكن في حاجة إلى الإختفاء .. والتربص بالضحية .. حتى يحين الوقت المناسب .. لكي يفعل فعلته .. فكان يلعب معهم .. ويلهو .. في حرية ..

- فكيف قتلها إذن ..

- يقولون أنها قُتلتْ في الحمام .. خنقاً .. ويعتقد البعض أنه ربما إستعان بشريك له في الجريمة من الخارج .. وأن هذا الشريك تسلل إلى خارج المدرسة .. بعد أن فشلا في الإعتداء عليها .. وقام أحدهما بخنقها .. بمساعدة الآخر ..

- ومن ترجح أن يكون هذا الآخر .. يا فاروق ؟!

- هناك أكثر من شاب يا فندم .. لهم تهم سابقة مماثلة ..

- نعود للأسماء يا فاروق .. أريد أسماءً ..

- حاضر يا فندم !!

الفصل الرابع عشر

لم تكن الكوابيس التي أفزعت ليلى هذه الليلة لتتركها تنعم بالنوم .. وكلما حاولت أن تغمض عينيها لتنام .. نهضت في رعب من أُلقيَ به إلى الجحيم ..

حاولت أن تصنع لنفسها فنجاناً من القهوة .. علها تستطيع أن تفتح عينيها .. التي يغالبها النعاس .. إلا أنها تخشى السرير.. الذي يسلمها لكوابيس لا طاقة لها بها ..

راحت تبحث في التلفاز عن أي برنامج .. قد يلهيها عن الفزع الذي أرق عينيها .. في هذه الليلة الطويلة .. والتي خيل إليها أنها لن تنتهي ..

ثم غلبها النعاس ..

رن جرس الباب .. كادت تقفز من مكانها فزعاً ..

- يا إلهي .. إنه جرس الباب .. لماذا هذا الفزع .. إن أعصابي اليوم ليست على ما يرام ..

ورن الجرس مرة أخرى ..

- من ؟ .. من بالباب ..

وجاءها صوت علياء ..

- إنها أنا يا ليلى .. علياء ..

- إصعدي يا د. علياء ..

ولم يكن من الصعب على علياء أن تلاحظ إضطرابها .. وإرتباكها ..

- ماذا بك اليوم يا ليلى .. هل هناك ما يجعلك مضطربة .. إن وجهك يبدو عليه الإرهاق .. وعيناك شاردتان ..

- هل هذا يبدو حقاً على وجهي ..

- إن نظرة سريعة على صفحة المرآة .. سوف تخبرك بأنك لستِ طبيعية اليوم ..

- حقاً .. صدقتِ يا علياء .. إنني أشعر بانقباض ..

- لقد علمتُ منذ قليل بخبر .. أراحني كثيراً ..

- وما هو ..

- لقد قبضوا على الجاني ..

وتغير لون وجه ليلى .. وقفز قلبها من بين ضلوعها .. قالت في دهشة .. لم تميز علياء .. هل هي دهشة .. أم فرحة ..

- أحقاً ..

- نعم .. لقد أخبرني المحقق بنفسه ..

- ومن هو الجاني .. وكيف قبضوا عليه ؟ ..

- في الحقيقة أنني لا أعرف بدقة .. ولكنه قال أن الجاني قد إعترف .. وأخبرهم عن المكان الذي أخفى فيه أدوات الجريمة ..

وبشغف وإهتمام بالغ سألت ليلى :

- مكان أدوات الجريمة ؟ .. هل قال أين أخفاها ؟

- نعم ..

- أين ؟

- قال أنه أخفاها في أحد الفلل .. التي تقع إلى جوار المدرسة ..

- وهل وجدوها .. وإستخرجوها فعلاً ..

- أعتقد ذلك .. ولكنني لست متيقنة ..

وصمتت علياء قليلاً .. وهي تراقب عيني ليلى الشاردتين ..

ثم نهضت قائلة :

- والآن إسمحي لي أن أنصرف .. فسوف أذهب إلى الآخرين لإبلاغهم بهذا الخبر..

وفور أن إنصرفت علياء .. إرتدت ليلى الروب فوق ملابسها .. وإتجهت إلى الحديقة .. وفتحت غرفة البستاني .. وراحت تنبش الأرض ..

فوجدت ما أخفته تحت التراب .. وإستخرجته ..

وما أن إستخرجته .. حتى أقبل عليها رجل .. ففزعت .. وألقت ما بيدها أرضاً .. صائحة في ذعر :

- يا إلهي .. الأستاذ صفوت ؟! ..

إلا أن الرجل أدار لها ظهره .. ومضى .. دون أن يتفوه بكلمة ..

وراحت تخطو خلفه .. في خوف وفزع .. بينما كانت تنادي بصوت يرتجف .. وقلب يخفق بشدة :

- يا أستاذ .. يا أستاذ صفوت .. ولكنك ميت .. إنني لا أهذي .. أنا لست

مجنونة ..

وإستدارت عائدة إلى غرفة البستاني .. إلا أنها فوجأت بالمحقق في مواجهتها ..

- من حقك أن تندهشي بعد أن قتلتيه بنفسك .. يا سيدة سمر ..

وبما إستطاعت أن تجمعه من تماسك .. قالت :

- قتلته ؟! .. قتلتُ من ؟! .. ثم .. من هي سمر هذه ؟! ..

- لا داعي للإنكار .. فلقد إستمعتُ إلى حديثك منذ دقائق معدودة .. مع الدكتورة علياء ..

لقد قالت لك :

" قال أنه أخفاها في أحد الفلل .. إلى جوار المدرسة " ..

إلا أنكِ سألتيها :

" وهل وجدوها .. وإستخرجوها فعلاً " ..

إنها لم تقل لكِ أنهم " إستخرجوها " .. فكيف عرفتِ أنها كانت مدفونة ؟

ثم تابع المحقق بلهجة آمرة .. توحي بأن لا مجال للمكابرة .. والمراوغة ..

- هيا .. هيا يا سمر .. إحملي هذه الأدوات التي أخفيتها بنفسك تحت الأرض .. فأنتِ موقوفة .. بتهمة قتل السيد مجدي محمود المليجي .. والسيدة وفاء زوجته.. وإبنته ليلى .. ثم قتل السيد صفوت كمال عبد الناصر .. المحامي .. والسيدة أسماء .. وأيضاً .. الطفلة .. هند ..

وأخيراً .. بتهمة التزوير في أوراق رسمية .. والإستيلاء على ثروة السيد مجدي بغير وجه حق ..

وقفت ليلى في ذهول .. لا تعي شيئاً مما يحدث حولها .. إلا أنها .. وفي ثواني .. هي خارج الزمن .. استطاعت أن تستدعي المرأة القوية في أعماقها .. وهيأت لنفسها أسباب القوة .. صاحت في المحقق :

- من أنتم ؟ .. وكيف تقتحمون منزلي بهذه الطريقة غير القانونية ..

وفاجأها أن تظهر لها د. علياء .. ووليد زوجها .. والرجل الذي إعتقدت أنه المحامي .. صفوت .. ولكنه في الحقيقة هو أخيه .. القريب الشبه منه .. ولو أنها في حالة طبيعية .. ولو لم يكن الخوف يتلبسها .. لإستطاعت من أول وهلة أن تعرف أنه ليس صفوت .. لأنه لا يشبهه تماماً .. كما أوحى لها خيالها المضطرب ..

ووجهت الصياح إلى الدكتورة علياء .. في حدة :

- ماذا ؟ .. ماذا يا دكتورة علياء ؟ .. ماذا جاء بك إلى هنا ؟! .. ما هذا الكلام الفارغ .. والتهم التي تطلقونها عليّ بلا دليل ولا سند قانوني .. ولا قرينة ..

ثم توجهت إلى المحقق بحديثها الناري ..قالت :

- يا حضرة المحقق .. بدلاً من أن تقتحم المنازل على أهلها .. يمكنك التوجه إلى معارض سيارات " أورو " .. في مدينة الشيخ زايد .. وسوف يقولون لك أنني كنت في هذا المعرض يوم الجمعة .. من

الساعة

الثانية بعد الظهر .. وحتى الخامسة مساءً .. لكي أستبدل سيارتي بسيارة من هذا المعرض .. ومعلوماتي أن السيدة أسماء كانت قد قتلت في الساعة الثالثة وخمسة وعشرين دقيقة .. مساءً .. فكيف أقتلها .. وأكون في الشيخ زايد .. في وقت واحد ؟! .. أما عن الأشياء التي تدعون أنها هي أداة الجريمة .. وأنني قمت بدفنها هنا في الفيلا .. فأين هي .. إنظروا .. هذه هي الأشياء التي قمت بدفنها من قبل لأسباب خاصة بي وحدي .. ولا علاقة لها بجريمة قتل .. ولا علاقة لها بكم ..ها هي .. أنظري يا دكتورة علياء .. أليست هذه هي نظارتك ؟! .. وهذه بعض القفازات الخاصة بك ؟! .. وأيضاً.. هذا الحذاء الرجالي .. وأخيراً .. أليست هذه هي بدلة زوجك ؟! .. السيد وليد .. وأعتقد أن هذه الأمور الخاصة بي وبك وبزوجك .. يمكننا مناقشتها في بيتي .. أو بيتك .. في جلسة خاصة جداً .. لا تحتاج إلى السيد المحقق .. فهي شئون أسرية وإجتماعية بحتة ..

وكان لسان ليلى قد إنطلق .. واستطاعت أن تستجمع شجاعتها .. فتوجهت بحديثها إلى المحقق :

- وأنت يا سيدي المحقق .. ألم يحتوي تقرير الطب الشرعي .. بخصوص حقيبة يدي .. أنه لا شيء يعلق بها من آثار .. أو من

شعر .. أو أي أثر من رأس الطفلة هند ؟! ..

أهذا هو كل ما لديك ضدي ؟! ..

ألم تعثروا بعد على صاحب الزرار البني الكبير .. الذي وجدتموه بجوار جثة الطفلة ؟! ..

إنني لا أراني مدينة إلا بمناقشة موضوع عائلي .. بيني وبين علياء ووليد ..

وعلي السيد المحقق أن يتبين ما قلت من حقائق .. بخصوص إثبات مكان تواجدي وقت إرتكاب الجريمة ..

قال لها المحقق :

- ما لا تعرفينه .. ولا أحد من العامة يعرفه .. أن السيد صفوت عندما إكتشف أنكِ دسستِ له السم.. وكان يحتضر .. لم يكن يستطيع أن يخبر الشرطة ..أو يخبر أحداً .. فأمسك بالقلم .. وحاول أن يكتب لمن يعثر على جثته .. أن من قتلته .. تدعى سمر .. وكل ما إستطاع أن يدونه في الورقة هي جملة من ثلاث كلمات .. " لقد فعلتها سمر" .. ولما كانت شخصية سمر مجهولة لنا .. فقد إتفقنا على إخفاء هذه المعلومة عن الصحافة .. حتى لا تأخذ سمر حذرها .. وتتصرف على أنه مات ودفن معه سره .. ولكننا لم نتوقف عن البحث .. في كل المحافظات ..

إلى أن أخبرتني د. علياء عن الحديث الذي دار بينها .. وبين السيدة

أسماء .. بعد مقتلها .. فربطنا بين ما قالته السيدة أسماء .. وبين الأحداث الأخرى ..

إذن فإن سمر هي التي نجت من الحادث الذي قتل على إثره السيد مجدي وعائلته .. فلما كان السيد صفوت .. هو محامي الأسرة .. فإذا قال أن التي فعلتها هي سمر .. فأصبح جلياً لنا .. أن سمر التي يعنيها .. هي أنتِ ..

واستطاعت ليلى أن تضحك بسخرية من هذا الحديث .. وقالت بلهجة قوية .. ساخرة :

- هذا حديث آخر .. تفصل فيه المحاكم يا سيدي المحقق .. أما الآن .. فلا أرى أن هناك ما يدعو إلى وجودنا .. هنا في الحديقة .. بل يمكنكم جميعاً تشريفي بالداخل .. نحتسي الشاي .. أو القهوة ..

الفصل الخامس عشر

كان المحقق خالد البهنساوي يلتهم السجائر إلتهاماً .. وقد بدا في حالة نفسية سيئة .. وغمامة من الدخان تغلف المكان .. وامتلأت المنفضة على مكتبه .. بمخلفات السجائر .. من أعقاب .. ورماد ..

ودخل المحقق مدحت عبد الله .. وجلس على كرسي بجوار السيد خالد وتناول سيجارة من علبة السجائر الموجودة فوق المكتب .. وأشعلها .. وهو يحييه :

- صباح الخير يا خالد ..
- صباح الخير يا مدحت ..
- هل هو إرهاق في العمل .. أم أرق .. ما أراه على وجهك العابث ؟
- ربما إرهاق .. وأرق .. في وقت واحد ..
- لقد تأكد لنا أن ليلى كانت في مكان آخر بعيداً عن مسرح الجريمة .. التي كانت السيدة أسماء ضحيتها .. حيث كانت ليلى في الشيخ زايد .. من الثانية بعد الظهر .. وحتى الثالثة .. بعد الظهر .. وطبعاً أنت تعلم أن المسافة من الفيوم إلى الشيخ زايد هي ساعة كاملة بالسيارة .. هذا في الذهاب .. ومثلها في العودة .. وهو ما يؤكد أنها لم تكن في الفيوم في وقت إرتكاب الجريمة ..

وكانت شهادة الشهود في صالحها أيضاً .. حيث أكدوا أنها كانت برفقتهم وقت إرتكاب جريمة قتل الطفلة هند ..

- أعلم ذلك .. وهو ما يعيدنا إلى المربع الأول .. في خطة البحث ..

- والآن ؟

- هيا بنا يا مدحت ..

- إطلب لي قهوة أولاً .. فأنا لم أشرب شيئاً اليوم ..

- علينا أن نتوسع في دائرة الإشتباه ..

- نعم .. وأيضاً أفكر في إعادة تفتيش بيت السيدة أسماء .. وقد إستخرجت التصاريح اللازمة لذلك ..

- سوف أدقق في عملية التفتيش بنفسي .. ربما وجدنا أي خيط يقودنا إلى معرفة الجاني ..

- وسوف نحاول إيجاد شهود جدد .. ونتوسع في إستدعاء من نراه قد يساعدنا من الجيران ..

وماذا عن وضع ليلى .. بالنسبة لمقتل المحامي .. صفوت .. وشبهة الجناية في وفاة أسرة السيد مجدي المليجي ..

- كانت د. علياء تعتقد أنها سوف تنجح في محاولة مواجهة ليلى .. بالسيدة أسماء خلال الحفلة .. إلا أن الجريمة كانتِ أسرع منها .. بخطوة ..

- نعم .. خاصة وأن السيدة أسماء أكدت لها أنها تشك في أن المدعوة ليلى مجدي .. هي سمر محمد .. وأن هناك شبهة إنتحال سمر إسم ليلى لكي ترث كل أملاك أسرة السيد مجدي .. بعد وفاتهم في الحادث ..

وهو ما يعني أن التي ماتت في الحادث .. هي ليلى .. وليست سمر .. إذا كان شك أسماء في محله ..

وبعد تناول القهوة .. إتجه المحققان .. مدحت وخالد .. مع باقي فريق العمل .. إلى بيت أسماء ..

وانتظر الجميع أمام بيت أسماء .. بينما صعد المحققان إلى أعلى .. وقابلا السيد هانى .. صاحب معرض النجف .. الذي قابلهما مندهشاً لهذه الزيارة المفاجأة .. والحقيقة أنه لا أحد يسعده زيارات رجال الشرطة .. ولا المحققون ..

- هل يمكنني مساعدتكم يا فندم ؟

- السيد هاني .. صاحب المعرض ؟

- نعم يا فندم .. تحت أمرك ..

قال المحقق خالد .. مع إبتسامة تشير إلى المزاح ..

- لا أرى عملاء يا سيد هاني .. يبدو أن تجارة النجف غير رائجة هذه الأيام ..

وإستجابة للمزاح .. إبتسم هاني .. قائلاً :

- إنه الغلاء يا فندم .. العملاء يبحثون عن الطعام .. والنجف يأتي في آخر الأولويات ..

- ربنا يكون في عونكم .. لديكم مصروفات كثيرة .. من إيجار إلى الضرائب .. والكهرباء .. والمرتبات ..

- على كل إنسان أن يتحمل قدر إستطاعته .. حتى ننهض بالبلد .. ولكل إنسان دوره ..

- صحيح .. جميل منك أن يكون هذا رأيك .. قل لي يا سيد هاني ..

- تحت أمرك يا فندم ..

- هل كنت موجوداً هنا .. يوم مقتل السيدة أسماء ؟

- بلى ..

- ألم تسمع شيئاً .. غير عادي .. صراخ مثلاً .. أو إستغاثة ..

- في الحقيقة لا .. لم أسمع شيئاً من هذا ..

- ألم تر أحداً .. من خارج الحي .. أو من الجيران .. يطرق باب الضحية ؟ ..

- أنا لم أر أحداً يطرق الباب .. ولكن محمد كشري أخبرني أنه رأى المهندس وليد زكي يرن الجرس .. وأيضاً رأى محصل فواتير الغاز يرن الجرس ..

- ومن محمد كشري ؟

- إن هذا هو إسم الشهره الخاص به .. إنه العامل الذي يعمل هنا في المعرض ..

ثم أشار إلى العامل الذي كان يراقب الأحداث من بعيد .. أن يأتي لمقابلة المحققين ..

وجاء محمد كشري .. قائلاً :

- تحت أمرك يا فندم ..

- إسمك محمد كشري ؟

سأله المحقق مبتسماً .. في دعابة ..

فابتسم العامل قائلاً :

- لقد إعتادوا أن ينادونني بهذا الإسم .. ولا أجد ضيراً في ذلك ..

ولا يغضبني مزاحهم .. فهم يستعملون هذا الإسم عند المزاح ..

- من الجيد أن تقابل أمورك بهذه الروح الجميلة يا محمد ..

ثم أردف ضاحكاً ..

- أم أقول يا كشري ؟

فضحك كشري .. وقال ..

- ولا يهمك يا فندم .. فالجميع يحبون الكشري ..

- قل لي يا محمد .. من رأيته يرن جرس السيدة أسماء .. يوم مقتلها ؟

- نعم يا فندم .. لقد رأيت المهندس وليد زكي ..

- هل يمكنك تذكر التوقيت يا كشري ؟ .. في أي وقت كان ذلك ؟

- كنت قد أديت صلاة الجمعة .. وفتحت المعرض .. وبعدها تقريباً

بنصف ساعة .. رأيت المهندس وليد أمام الباب يرن الجرس ..

- أي أن ذلك كان في نحو الواحدة والنصف تقريباً ..

- نعم ..

- وهل فتحت السيدة أسماء له الباب ؟

- لقد دخل .. بعد أن فتح أحدهم الباب .. ولكنني لا أعلم .. من فتح له الباب ..

- ماذا كان يرتدي ؟

- كان يرتدي قميصاً لونه بيج .. وجاكتاً بني اللون .. وسروالاً لونه بني ..

- وهل تتذكر دائماً .. ما كان يرتديه الآخرون .. يا كشري ؟

قال المحقق ذلك وهو مبتسماً .. مما جعل كشري يعتبر هذا السؤال من باب المداعبة .. فابتسم قائلاً :

- هذا لأنني كنت قد رأيت المهندس وليد يرتدي نفس الثياب من قبل ..

- لا عليك يا كشري .. إنني فقط أمزح معك ..

- أعلم ذلك يا سيدي ..

- هل رأيته يا كشري .. عندما خرج ..

- كلا ..

- ألم تسمع أصواتاً مرتفعة تأتي من شقة السيدة أسماء ؟ .. صياح مثلاً .. أو مشادة كلامية .. أو صراخ .. أو إستغاثة .. أي شيء من هذا القبيل ..

- كلا ..

- ومن رأيت بعد ذلك يرن جرس شقة السيدة أسماء ؟

- لم يكن يرن الجرس .. فقد طلب مني الأستاذ هاني أن أشتري شيئاً

نأكله للغداء .. وبينما كنت أنزل الدرج .. رأيت محصل فواتير الغاز يدخل شقة السيدة أسماء .. ولكنني لم أسمعه يرن الجرس .. ولا أعلم .. هل كان الباب مفتوحاً .. أم أن هناك من فتح له الباب ..

- وهل أغلق الباب خلفه بعد أن دخل ؟

- لا أعرف .. فقد كنت قد غادرت العمارة ..

- هل تعرف إسمه ؟

- نعم يا فندم .. كلنا نعرفه .. إسمه " فتحي .. فتحي حسنين "

- في أي وقت حدث ذلك يا كشري .. هل تستطيع أن تحدد الساعة ؟

- لقد كان ذلك بعد ساعة تقريباً من فتح المعرض .. أو ربما ساعة ونصف ..

- وفي أي ساعة فتحت المعرض ؟

- تقريباً الساعة الواحدة .. بعد صلاة الجمعة مباشرة ..

- أي أنها كانت الثانية والنصف .. تقريباً .. عندما شاهدت فتحي يدخل شقة الضحية ..

- هذا صحيح يا فندم ..

- ولكن يا كشري .. هل تعلم أن شركة الغاز لا تعمل يوم الجمعة ؟

- بلى .. الكل يعلم ذلك ..

- أليس من الغريب إذن .. أن يأتي المحصل إلى السيدة أسماء يوم الجمعة .. يوم الأجازة الرسمية ؟

- لديّ معلومة قد لا تكون صحيحة ..

- وما هي ؟

- أعتقد أن فتحي .. المحصل .. كان يجيد إصلاح السخان الذي يعمل بالغاز ..

- تقصد أن السيدة أسماء ربما كانت هي من إستدعاه لإصلاح السخان ؟

- لا أعرف حقيقة ما حدث .. ولكنني أقول أن ذلك ممكن ..

- ولهذا إختار يوم الجمعة .. لكي يكون متفرغاً ..

- ربما يا سيدي .. قد يكون هذا هو ما حدث ..

- أشكرك يا كشري ..

ونزل المحققان .. وفتحوا شقة الضحية .. وبدأت عملية تفتيش دقيقة للشقة .. ولجميع محتوياتها ..

ولكن ما سبب لهم شيئاً من الإحباط .. هو أنهم لم يعثروا على أي شيء جديد ..

فاتجهوا إلى بيت رامي حامد عبد الله ..

وراحوا يفتشون البيت .. ويقلبونه رأساً على عقب ..

- أين رامي ؟

أجاب الأب .. في خوف وإضطراب ..

- إنه موجود يا فندم .. ولكن لماذا هو مطلوب لديكم ؟ .. وعلى ماذا تبحثون ؟

- سوف تعرف كل شيء حالاً .. وعليك إستدعاء رامي بسرعة ..

- سوف يأتي حالاً .. إنه يشتري بعض الأغراض من السوبر ماركت .. ويدخل رامي حاملاً بعض المشتريات .. فيفزع .. ويصيبه الرعب .. والهلع .. من وجود ضباط الشرطة والمخبرين في البيت .. فيضع ما يحمل في الأرض مسرعاً .. ويتساءل عن أسباب وجود الشرطة .. ويبادره المحقق خالد .. بخشونة ..

- إنت رامي ؟

- نعم يا فندم ..

- أين كنت ؟

- كنت أشتري بعض الطلبات للمنزل ..

- أين كنت وقت وقوع الجريمة .. جريمة قتل السيدة أسماء ..

وجاء أحد المخبرين من الداخل .. وهو يحمل شريطاً يحوي بضعة أقراص .. قدمه للمحقق قائلاً :

- لقد وجدت هذا الشريط يا فندم .. شريط مخدر الترامادول ..

وأسقط رامي في يده .. وإنهار خوفاً .. ورعباً .. من أبيه وأمه من ناحية .. ومن رجال الشرطة من ناحية أخرى .. وكاد يسقط أرضاً .. ولم تعد قدماه قادرتان على حمله .. وإرتجفت أطرافه .. ولم يعلق الوالد الذي عقدت الدهشة لسانه .. وقرر أن يترك إبنه للفزع والخوف من الشرطة .. فحسبه ما سوف يلاقيه منهم .. أما

عقاب الأسرة كلها له فسوف يأتي موعده .. في الوقت المناسب ..

سأله المحقق صارخاً في وجهه :

- ألا زلت تتعاطى المخدرات .. وتصل بك الجرأة إلى الإحتفاظ بها في بيتك ؟

فقال رامي .. في محاولة بائسة .. للدفاع عن نفسه .. وقد جاءت كلماته مرتعشة ..

- صدقني يا فندم .. لقد توقفت عن التعاطي منذ زمن .. ولكنني نسيت أن أتخلص من هذا الشريط .. ولكنني الآن لم أعد أتعاطى ..

- هل هذا الزرار لك ؟

وفاجأه المحقق بعرض زرار بني عليه .. كان قد تم العثور عليه في مسرح جريمة مقتل الطفلة هند ..

- لا والله يا فندم .. ليس لي .. ولم أره من قبل ..

- هل قتلت السيدة أسماء ؟

ونزل السؤال كالصاعقة على رأس رامي .. ولم يتمالك نفسه .. بكى .. وقال .. في نبرة رجاء .. وإستعطاف ..

- أنا ؟ .. أنا أقتل ؟ .. أنا قتلت السيدة أسماء ؟ .. والله يا فندم لا أعرف عم تتكلم ..

وجاءت كلماته مرتعشة .. باكية ..

أضاف ..

- لماذا تتهمني هذا الإتهام يا سيدي ..

وإنهار الأب .. وروعت الأم ..

وهو ما جعل المحققين يتجهان إلى الإستجواب الهاديء .. بعيداً عن أسلوب الصدمات ..

وقال الأب .. مستنكراً :

- لا بد يا فندم أن في الأمر سوء فهم .. أو خطأ ما ..

وقالت الأم .. باكية ..

- من غير المعقول أن تصدق يا سيدي أن إبننا يقتل .. قد يخطيء ويتناول المخدرات .. وهذا يمكن علاجه .. أما القتل فلا .. تأكد والله يا سيدي .. رامي إبني لا يمكن له أن يقتل ..

- هل يا رامي قمت بتهديد السيدة أسماء ؟

- كان هذا مجرد تهديد .. لم أكن أعنيه حقاً ..

- ولكنك حاولت فعلاً أن تدهسها بالسيارة ..

- كان فقط لتخويفها ..

- ولكن رجلها كسرت .. بسبب رعونتك .. وتهورك ..

- ولكنني لا أقتل .. ممكن أفعل كل هذه الأخطاء الغبية .. ولكنني لا يمكن أن أتجاوزها ..

- أين كنت في وقت إرتكاب الجريمة ؟

قالت الأم مبتهجة .. وكأنها تقدم دليل براءة إبنها ..

- الحمد لله .. والله يا فندم هذا اليوم كان موعد فرح إبنتي .. ولم يغادرنا رامي أبداً .. ويمكنك مشاهدة الفيديو .. أو تسأل كل المدعوين .. وليس من المعقول أن يأتي رامي من القاهرة .. لكي يقتلها .. ثم يعود إلى القاهرة .. وسيادتكم تعلمون أن المسافة من القاهرة إلى الفيوم هي ساعتين في الذهاب .. وساعتين في العودة ..

ووجدت كلمات الأم صدى جيد لدى المحقق خالد .. وإلتمس فيها قدراً كبيراً من الصدق ..

فقال للمحقق مدحت ..

- هيا هيا يا خالد .. هيا بنا ..

- إلى أين ؟

- أريد مقابلة وليد .. وليد زكي ..

- علينا مقابلته .. بعيداً عن علياء .. بمفرده ..

- مؤكد ..

ولم ينقضِ أكثر من عشرين دقيقة .. حتى كان وليد مع المحققين في قسم الشرطة ..

- لدينا فقط بعض الأسئلة والإستفسارات .. نرجو منك توضيحها ..

- تحت أمرك ..

- متى كانت آخر مرة .. رأيت فيها السيدة أسماء ؟

- يوم الجمعة .. ربما قبل أن تقتل بساعة .. أو ساعة ونصف ..

- نشكر لك صراحتك ..

- ليس لديّ ما أنكره .. أو أخفيه .. كما أنه ليس هناك ما يدعوني للكذب ..

- لماذا ذهبت إلى بيتها في هذا الوقت بالذات ؟

- هل لا بد أن تعرف زوجتي بما سوف أرويه لكما ؟!

- نعدك بألا نجعلها تعرف شيئاً من هذا ..

- لقد ذهبت إلى السيدة أسماء في بيتها .. لكي أزيل سوء تفاهم بينها وبين السيدة ليلى ..

- بخصوص ماذا ؟

- كانت تعتقد أن ليلى هي سمر .. بينما سمر كانت قد ماتت في الحادث .. مع السيد مجدي .. والسيدة زوجته ..

- وماذا كان ردها عليك ..

- كانت مصرة أن هذه هي سمر .. وأن ليلى هي التي ماتت في الحادث .. وأن ليلى كان وجهها مشوهاً .. منذ طفولتها .. وكانت سوداء العينين .. ذات شعر أسود .. بينما كانت سمر ذات عينين زرقاوين .. وشعر ذهبي ..

- وأين ذهبت بعد أن خرجت من بيت السيدة أسماء ؟

- كان لديّ بعض المصالح والأعمال .. حتى المساء ..

- ثم ؟

- في الحقيقة ؟ ..

- لا تخشى شيئاً .. لقد إتفقنا .. ولن تعلم الدكتورة علياء بما سوف تخبرنا به ..

- كان لديّ موعد مع ليلى .. في المساء .. وخرجنا معاً .. لبعض الوقت ..

- ماذا كنت ترتدي عندما ذهبت إلى السيدة أسماء ؟

- كنت أرتدي جاكت بني .. وسروال بني .. وقميص بيج ..

وأخرج له المحقق زراراً بني اللون .. وقدمه له .. وهو يسأله :

- هل هذا الزرار لك ؟

ولم يكن من الصعب على وليد أن يتعرف على الزرار .. فور أن رآه ..

- نعم .. إنه لي .. فهو زرار الجاكت الذي كنت أرتديه .. عندما ذهبت إلى السيدة أسماء .. كيف حصلتم عليه ؟

- أنت أخبرنا .. ماذا حدث للجاكت ؟ .. هل إنقطع منه الزرار ؟

- نعم .. لقد إنقطع الزرار .. وأعطيته للسيدة ليلى حتى تثبته في الجاكت في البيت ..

- وماذا فعلت به ليلى .. بعد أن أعطيته لها ؟

- لقد وضعته في حقيبتها .. لكي تثبته في الجاكت بعد عودتها إلى البيت ..

ونهض خالد .. وهو يقول لمدحت ..

- والآن قد إتضح كل شيء .. وعلينا أن نقوم بزيارة واحدة .. ننهي بها القضية .. هيا يا مدحت ..

ثم وجه الشكر للمهندس وليد على هذا العون الذي قدمه لإغلاق الملف .. وحل لغز الجريمة ..

وكانت الزيارة إلى مدينة الشيخ زايد .. معارض أورو للسيارات ..

وهناك .. قدم المحققان هويتهما الرسمية .. إلى السيد محمد .. صاحب المعرض ..

ورحب بهما .. مبدياً كل الإستعداد .. للمعاونة ..

وطلبا منه معرفة المسئول عن البيع في المعرض .. يوم الجمعة .. الموافق الثالث والعشرين ..

وجاء مندوب البيع .. السيد علاء ..

وسأله المحقق خالد ..

- هل كنت تعمل يوم الجمعة .. الثالث والعشرين .. بعد فترة الظهيرة ؟

- بلى

- هل تتذكر عملاءك .. عن هذا اليوم ؟

- أكيد .. خاصة أنها كانت عميلة واحدة ..

- حسناً .. هل تتذكر إسمها ؟

- نعم .. ولكن أرجو الإنتظار دقيقة واحدة .. لكي أوافيك بصورة من هويتها .. بالرقم القومي ..

- جيد جداً .. هذا هو ما نريد ..

وأحضر علاء صورة البطاقة .. وسلمها للمحقق .. الذي راح يقرأ بياناتها ..

- ليلى مجدي .....

ثم وجه إلى علاء بعض الأسئلة ..

- طبعاً يا سيد علاء .. إذا رأيت ليلى هذه .. فسوف تتعرف عليها جيداً ..

- طبعاً يا فندم ..

- ربما تتذكر أيضاً لون شعرها ..

- في الحقيقة .. أنها كانت تضع وشاحاً فوق رأسها ..

- ولون عينيها .. هل كانت عيناها زرقاوان ؟

- هنا أيضاً مشكلة .. فقد كانت تضع فوق عينيها نظارة شمس طوال الوقت !

- آه .. إذن لن تستطيع أن تصفها لنا جيداً ..

- ولكنني أستطيع التعرف عليها .. إذا رأيتها ..

- حسناً .. هيا بنا .. لكي نجعلك تراها .. وحاول أن تتعرف عليها ..

وإتجهوا ثلاثتهم إلى بيت ليلى ..

واستقبلتهم ليلى .. هادئة الأعصاب .. مشرقة الوجه .. مبتسمة ..

- أهلاً .. ومرحباً بكم !

- هل تسمحي لنا بالدخول لبعض الوقت ؟

- تفضلوا ..

وسألها المحقق خالد .. وهو يشير إلى السيد علاء ..

- هل تعرفي السيد علاء .. يا سيدة ليلى ؟

- في الحقيقة .. لا .. فهذه هي أول مرة أراه ..

فقدم لها صورة بطاقتها الشخصية .. وهو يقول لها :

- أليست هذه هي صورة بطاقتك الشخصية ؟

فنظرت إلى صورة البطاقة .. وأجابت :

- نعم .. إنها هي ..

فقال لها .. بكلمات .. لا تخلو من الإستخفاف ..

- هذا هو السيد علاء .. الذي من المفروض أنك ذهبتِ إليه .. يوم الجمعة .. في معارض سيارات أورو .. بمدينة الشيخ زايد .. وسلمتيه صورة بطاقتك الشخصية .. لإتمام إجراءات إستبدال سيارتك .. فكيف لم تعرفينه ؟ ..

- نعم .. نعم .. لقد تذكرته .. نعم .. إنه هو ..

فقال لها علاء .. مستنكراً ما تقول :

- لا .. لستِ أنتِ من حضرت إلى المعرض .. ولم تسلميني شيئاً .. إن السيدة التي حضرت كانت سيدة أخرى غيرك .. لستِ أنتِ على الإطلاق ..

وظهر الإرتباك واضحاً على وجه ليلى .. ولأول مرة تنفعل .. قالت له في عصبية غير معهودة ..

- كيف تقول ذلك .. من إذن هذه السيدة .. التي حضرت إليكم غيري .. هل تهذي ؟

قال السيد علاء .. في ثقة ..

- لا أهذي .. وعليكِ أنتِ أن تقولي لنا .. من تكون هذه السيدة التي أرسلتيها إلى المعرض .. لكي تحل محلك .. وتنتحل شخصيتك ؟ .. بعد أن سلمتيها سيارتك .. وبطاقتك الشخصية !!

قالت وهي تحاول السيطرة على ردود أفعالها ..

- ألم أقل لك أنك تهذي ؟

فكر علاء ثواني .. وكأنما لمعت في عينيه فكرة .. فشعر أن في يده سهم قاتل .. وسارع بإلقائه في جسدها .. قائلاً ..

- إذا كنت أهذي .. فهل لي أن أسألك .. هل تذكري عندما سألتيني عن مكان التواليت .. لكي تصلحي من ماكياجك ؟ .. من فضلك صفي لنا التواليت الذي وجهتك إليه .. وفي أي طابق يقع ؟

ولم تحاول اللجوء إلى ذكائها .. الذي طالما أسعفها في الكثير من المواقف الحرجة .. إنما لجأت إلى محاولة إثبات شجاعتها وبراءتها .. وثقتها بنفسها.. فتعجلت الرد .. باستخفاف ..

- لا شك أنه في الطابق الأول .. ثم أنه تواليت .. مثل أية تواليت ..

فماذا أصف فيه ؟

وضحك علاء ضحكة الإنتصار .. وشعر أن سهمه قد أصاب براءتها التي تدعيها .. وكشف كذبها العاري من الحقيقة .. فوجه حديثه إلى المحقق .. بصوت المنتصر .. ونبرة الفوز ..

- الآن يا سيدي .. إنتهى أمر السيدة ليلى .. وأستطيع أن أكشف لك كذبها ..

خطفت هذه الكلمات إهتمام المحقق .. فنظر إلى علاء بإهتمام شديد .. أما ليلى فقد أحست بتيار بارد يسري فجأة في دمائها .. حتى وصل إلى قلبها .. الذي كاد أن يتوقف .. خوفاً وهلعاً ..

ورمقت علاء بنظرة تقطر قلقاً .. مترقبةً ماذا عساه يقول ..

قال علاء .. وهو يشير إليها .. بينما ينظر ضاحكاً إلى المحقق ..

- يا سيدي .. إن السيدة ليلى التي جاءتني بالمعرض .. لم تطلب مني الذهاب إلى التواليت .. ولا قامت إصلاح الماكياج .. والأكثر من ذلك .. أنه لا يوجد تواليت .. بالطابق الأول في المعرض ..

وتوقف علاء عن الحديث لثواني .. ثم نظر إليها .. ولا زال يتحدث إلى المحقق .. قال ..

- إنها تكذب يا سيدي .. ولا أعرف من أين تستمد هذه القدرة الغريبة على الكذب .. والمراوغة ؟

وأراد المحقق أن يصيبها بصفعة قوية في سرعة ومباغتة .. قبل

أن تفيق من أثر كشفهم للكذبة الأولى ..

فقدم لها الزرار البني .. مباغتاً إياها .. وسألها :

- هذا الزرار .. لمن ؟ .. و لماذا وضعتيه إلى جوار جثة الطفلة المسكينة هند ؟

وأصبح من الواضح أن أعصابها خرجت عن السيطرة .. وأصبحت تتحدث في زعر .. وفذع .. قالت بكلمات مرتجفة :

- ما قصة هذا الزرار ؟ .. إنني لم أره من قبل ..

فقال المحقق خالد .. في تهكم :

- بل دققي النظر في هذا الزرار يا سيدة ليلى .. ربما كان يخص المهندس وليد ؟

- وماذا يخص المهندس وليد .. فيما نحن نتحدث عنه ؟

- ربما يكون قد إنقطع من جاكت وليد .. فأعطاه لك .. بينما كنتما تسهران معاً .. في خارج البيت .. ولم تكن الدكتورة علياء معكما .. وإلا لأعطاه لها .. بدلاً من أن يعطيه لكِ .. لكي تحتفظي به في حقيبة يدك .. ريثما تعودان إلى البيت .. فتثبتيه في الجاكت .. ولم يعطه لكِ لكي تلقيه إلى جوار الجثة ..

- لم يحدث شيئاً مما تقول ..

- عليكِ أن تعترفي بكل شيء .. فقد إعترف لنا وليد بتفاصيل هذا الأمر ..

وانهارت تماماً .. ولم يعد لها إلا أن تقول .. في ضعف شديد :

- لن أقول شيئاً .. إلا في وجود المحامي ..

- لكِ ذلك .. فهو من حقك علينا .. أن نسمع منكِ كل شيء .. في وجود المحامي .. ولكن الآن .. إسمحي لنا أن نقوم بعملية تفتيش سريعة ..

وأشار إلى مدحت .. الذي دخل إلى الغرف .. غرفة .. غرفة .. وعاد يحمل بعض الملابس الرجالية .. ومنها .. جاكت وليد .. البني .. الذي إنقطع منه الزرار ..

فقال لها خالد :

- أليس هذا هو جاكت وليد ؟ .. إنه يحمل نفس الأزرار .. وها هو مكان الزرار المقطوع ..

أما وليد فقد جلس إلى زوجته علياء مجلس الطفل الصغير .. وإعترف لها بكل هذه الأمور الخطيرة التي قام بها ..

وكما يفعل الطفل حين يستعطف أمه حتى تصفح عنه .. عندما يأتي بأخطاء

وتصرفات تكرهها .. وتؤلمها ..

راح وليد يعتذر لزوجته عن كل ما بدر منه .. وكل ما فعله يجرح كبرياءها ويؤكد قدرته الغريبة على الخيانة !

إلا أنها طلبت منه هذه المرة أن لا ينتظر منها العفو .. والغفران .. لأن ما فعله من خيانة مع ليلى .. أو سمر .. ليس بالشيء الهين .. إلا أنها

أرجأت هذا الأمر .. لحين الإنتهاء من القضية ..

وشرح لها كيف قامت ليلى .. أو سمر .. بسرقة الزرنيخ الذي إعترفت بسرقته من المعمل الخاص بعلياء .. عندما دعاها وليد إلى بيته يوم أن سافرت علياء إلى القاهرة .. وسرقت أيضاً بعض القفازات .. وحتى نظارة علياء .. دستها في حقيبة يدها .. دون أن تعرف لذلك سبباً .. وكان وليد قد أنكر معرفته سر إختفاء جرعة الزرنيخ من المعمل .. عندما سألته علياء .. في ذاك اليوم الذي تمت فيه السرقة ..

كما إعترف لها بأنه قابل الأستاذ صفوت المحامي في بيت سمر .. في اليوم السابق لمقتله ..

وكانت علياء قد روت للمحقق حديثها مع سمر في المعمل أول مرة .. عندما قالت سمر لها :

" إلا إذا كان التخطيط للقتل معداً له جيداً .. كأن يموت الضحايا في حادثة سيارة مرعبة .. فيغطي ذلك على واقعة التسميم ..!! فيكون التركيز على الآثار الناجمة عن حادث السيارة .. فتفلتي بفعلتك !! " ..

فقال لها ..

- وهذا ما يجعلنا نعيد فتح هذا الملف .. ونطلب إعادة التحقيق في قضية مقتل أسرة السيد " مجدي محمود المليجي " ..

وقال المحقق لسمر .. وقد إعترفت بكل شيء في المحاضر الرسمية ..

- وأما بعثرة الأشياء في بيت السيدة أسماء بعد قتلها .. فلم تكن محاولة فعالة .. لأن القفاز الذي تركتيه عامدة في مسرح الجريمة .. لكي تشتتي أفكار المحقق .. وتبعدي عنك الشبهات .. بل تجعلينا نشك في واحد من إثنين .. علياء .. أو زوجها .. بعد أن نقوم بتفتيش بيتها .. هذا القفاز نفسه .. هو الذي جعلنا نضعك محل الشبهة .. لأن أحد الأظافر الصناعية .. التي تزين أصبع يدك اليسرى .. كان قد علق بالقفاز ..

أما الحذاء الرجالي الذي جلبتيه للتمويه .. فإنني أريد أن أسألك .. من أين قمتِ بشرائه ؟! .. حيث أننا لم نجد له مثيلاً في المحلات التي بحثنا فيها !

فأجابت .. في يأس وإستسلام :

- من محلات " أسواق الإنترنت " .. وكنت قد إشتريته من أجل وليد ..

- على أي حال .. لقد كانت الحيلة مكشوفة .. فقد كانت آثار الحذاء على الأرض ليست رأسية .. بل كان يبدو من الواضح أن الذي يرتدي الحذاء قدمه صغيرة جداً على الحذاء ..

فكان يجره على الأرض .. بدلاً من أن يرفع قدمه في وضع رأسي بالنسبة للأرض .. وذلك بسبب الماء الذي هطل في ذاك الوقت .. وملأ الأرض بالأوحال ..

ويبدو أنكِ كنتِ على إستعداد أن تقتلي العالم كله .. في سبيل

أن تنقذي رقبتك من حبل المشنقة .. فقتلتِ الطفلة المسكينة

هند .. التي دفعت حياتها ثمناً .. لكذبة ..

فقد ذكرت في كذبتها.. أنها رأت القاتلة .. بينما كانت تختبيء

وراء الستارة .. ولو تريثتِ أنتِ .. وفكرتِ في الأمر قليلاً .. لإكتشفتِ

بنفسك أنها تكذب.. حيث لم تكن هناك ستارة في مسرح الجريمة ..

حيث قتلتِ السيدة أسماء ..

إنتهت بحمد الله

رقم الإيداع

1478586

بتاريخ 2016/11/23

صدر للكاتب

1 - الماضي يعود دائماً	رواية
2 - هل أغفر ؟	رواية
3 - الحب الحقيقي	كتـاب
4 - عصيـر الخـيـانة	رواية
5 – ويجا	مجموعة قصص قصيرة